كتاب
استخراج الجدال من القرآن الكريم

تصنيف

الشيخ الإمام ناصح الدين أبي الفرج
عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الأنصاري
المعروف بابن الحنبلي
(٥٥٤هـ - ٦٣٤هـ)

ضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه

محمد صبحي حسن حلاق

مؤسسة الريان
للطباعة والنشر والتوزيع

كتاب

استخراج الجدال

من القرآن الكريم

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ
إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ
صدق الله العظيم

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

مؤسسة الريان
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب ١٤/٥١٣٦ السجل التجاري في بيروت رقم ٥ / ٧٤٢١

كتاب
استخراج الجدال
من القرآن الكريم

تصنيف

الشيخ الإمام ناصح الدين أبي الفرج
عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الأنصاري
المعروف: بابن الحنبلي
(٥٥٤هـ - ٦٣٤هـ)

ضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه
محمد صبحي حسن حلاق

مؤسسة الريان
للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

بقلم فضيلة الدكتور: عبدالحق عبدالدائم القاضي. أستاذ في جامعة صنعاء لمادة: القرآن وعلومه ـ كلية التربية.

الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه المبين: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه الى يوم الدين، وبعد:

فإن أشرف العلوم نوراً وأعظمها أجراً علم كتاب الله عز وجل، فهو أشرف ما يشتغل به المشتغلون ويقدمه الباحثون، وإن هذا العمل الذي قدمه الأستاذ الفاضل خادم السنة: محمد صبحي حسن حلاق في خدمة كتاب من كتب التراث الإسلامي، ألا وهو كتاب «استخراج الجدال من القرآن الكريم» لابن الحنبلي المتوفى سنة ٦٣٤ هـ، وهو يتناول جانباً من جوانب علوم القرآن، كما هو واضح من عنوانه، أقول: إن هذا العمل جليل وهو جهد يشكر عليه، وقد تلخص هذا العمل في الآتي:

- كتب المحقق مقدمة للكتاب بيَّن فيها أن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة للنبي ﷺ على مر العصور والأزمان، وستظل المعجزة القاهرة لكل الأجيال إلى قيام الساعة، ثم بيَّن كيفية تعامل القرآن الكريم مع خصومه، وأنه تعامل معهم بحسب أحوالهم الثقافية والعلمية والاعتقادية وأورد أمثلة من القرآن الكريم تبين أسلوب القرآن في مجادلته للمشركين وأهل الكتاب، وضرب كذلك أمثلة لكثير من الوجوه المختلفة التي استعملهاالقرآن الكريم في جدال الانبياء لأقوامهم وغير ذلك

- ثم كتب ترجمة للمؤلف بيَّن فيها رحلاته وسماعاته في كل من

بغداد والموصل وأصبهان وغيرها من البلدان التي طوف فيها طلبا للعلم، ثم تفرغه للوعظ والإرشاد والتعليم والتصنيف رحمه الله.

● وبين المحقق منهجه الذي سلكه في تحقيق الكتاب حيث قام بخدمة النص في كثير من الجوانب، وبخاصة تتبعه لمواضع الجدال والسلطان والحجة وما تصرف من هذه الكلمات، حيث أشار المصنف إليها إجمالاً فقام المحقق بذكر تلك النصوص القرآنية وعزوها إلى أماكنها بذكر السورة ورقم الآية وهو عمل طيب وجهد مشكور.

● كما قام بتخريج الأحاديث وعزوها إلى مصادرها مع بيان درجتها صحة وضعفاً، وهو أمر مهم، فإن كثيراً من كتب التراث بحاجة إلى نظرة فاحصة من قبل المتخصصين، وإخراجها صافية نقية خالية مما علق بها، حتى تكون في متناول طلاب العلم والمعرفة.

● وقام المحقق بالتعليق على كثير من المسائل العلمية وأضاف إليها إضافات مهمة بأسلوب مهذب مقنع، كما فعل عند كلام المصنف على منكري البعث واستبعادهم له، حيث بين المحقق منهج القرآن الكريم في استدلاله على إمكان البعث وتحقق وقوعه شرعاً وعقلاً وحساً ومعنى، وكما فعل عند كلام المصنف على الحكمة من نزول القرآن الكريم منجماً «مفرقاً» ولم ينزل جملة واحدة كبقية الكتب السابقة، حيث إن المصنف لم يحالفه الصواب في ذكر الحكمة من ذلك، فذكر المحقق بعض الحكم التي تبيِّن سبب نزول القرآن مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة.

● وقد رجع في تحقيقه لهذا الكتاب إلى ما يفوق الستين مرجعاً.

أسال الله جلت قدرته أن يرحم مصنف هذا الكتاب وأن يثيب محققه وأن يجعله في سجل حسناته وأن ينفع به طلاب العلم إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه الدكتور / عبدالحق عبدالدائم القاضي

بتاريخ ١٤١٢/٧/٤هـ الموافق ٩٢/١/٩م

مقدمة المحقق

إنَّ الحمدَ للَّهِ، نحمدُه ونستعينُه ونستغفِرُهُ ونعوذُ باللّهِ مِنْ شرورِ أنفسِنا، وسيئاتِ أعمالِنا مَنْ يهدِهِ اللّهُ فلا مضلَّ لَهُ، ومن يضللْ فلا هاديَ لهُ.

وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللّهُ وحدَه لا شريكَ لهُ. وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُه.

﴿يا أيُّها الذينَ آمنُوا اتَّقُوا اللّهَ حقَّ تُقاتِهِ ولا تموتُنَّ إلاَّ وأنتُمْ مسلمونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يا أيُّها الناسُ اتَّقُوا ربَّكم الذي خلقَكُم من نفسٍ واحدةٍ وخلقَ مِنْها زوجَها وبثَّ مِنْهُما رجالاً كثيراً ونساءً، واتَّقُوا اللّهَ الذي تساءلونَ بِهِ والأرحامَ إنَّ اللّهَ كانَ عليكُمْ رقيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يا أيُّها الذينَ آمنُوا اتَّقُوا اللّهَ وقولُوا قولاً سديداً يُصْلِحْ لكمْ أعمالكمْ ويغفرْ لَكُمْ ذنوبَكمْ ومَنْ يُطِعِ اللّهَ ورسولَهُ فقَدْ فازَ فوزاً عظيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أمَّا بعدُ:

فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ اللّهِ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ، وشرَّ الأمورِ مُحدثاتُها وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّارِ.

وبعدُ:

فإنَّ القرآنَ الكريمَ معجزةٌ خالدةٌ لنبيِّ الإسلامِ ﷺ، يحاجُّ العقلَ البشريَّ في أرْقَى ما وصلَ إليهِ مِنَ العلمِ، ويتحداهُ إلى الأبدِ. وستظلُّ المعجزةُ قائمةً مستمرةً في تحدِّيها وقهرِهَا مواهبَ البشرِ إلى يومِ القيامة. فالحجَّةُ به ملزمةٌ وقتَ تنزُّلِهِ على رسولِ اللهِ ﷺ، كما أنها ملزمةٌ في كلِّ آنٍ بعدَهُ إلى قيامِ الساعةِ على حدٍّ سواءٍ، فإنَّ التحدي بالمعجزةِ القرآنيةِ لم يخصَّ قوماً دونَ قومٍ ولا أهلَ العصرِ الأولِ دونَ غيرِهم. فهوَ معجزةٌ ثابتةٌ خالدةٌ على مرِّ العصورِ والسنينَ والشهورِ، والتحدي بهِ يفحمُ أهلَ كلِّ زمانٍ ومكانٍ، والإعجازُ فيهِ قائمٌ في كلِّ عصرٍ ومصرٍ ﴿قلْ لئنِ اجتمعتِ الإنسُ الجنُّ على أن يأتوا بمثلِ هذا القرآنِ لا يأتونَ بمثلِهِ ولو كانَ بعضُهم لبعضٍ ظهيراً﴾ [الإسراء: ٨٨].

أما تعاملُ القرآنِ مع خصومِهِ، فهو تعاملٌ يتناسبُ وأحوالَهم العلميةَ والاعتقاديةَ. فالمشركونَ يجادلُهم جدل هدايةٍ ودلالةٍ. بينما يجادلُ أهلَ الكتابِ جدلَ تَخْطِئَةٍ وإلزامٍ. ويأتي شديداً وقاسياً، بل مصحوباً بالتهديدِ والوعيدِ عندَ جِدَالِهِ للمنافقينَ.

والجدالُ هوَ المعارضةُ على سبيلِ المنازعةِ والمغالبةِ. وأصلُه من جَدَلَ الحَبْلَ: أحكمَ فَتْلَهُ، كأنَّ كُلاًّ مِنَ المتجادِلَيْنِ يفتلُ الآخرَ عَنْ رأْيِهِ.

وجدلُ القرآنِ الكريمِ هو براهينُه وأدِلَّتُه التي اشتملَ عليها وساقَها لهدايةِ الكافرينَ، وإلزامُ المعاندينَ في جميعِ ما قصدَ إليهِ مِنْ تبيانِ الحقائقِ وترسيخِها في أذهانِ الناسِ.

وقَدْ وردَ الجدالُ في القرآنِ على وجوهٍ مختلفةٍ:

(**الأولُ**): معارضةُ نوحٍ وقومِه: ﴿يا نوحُ قَدْ جادلْتَنا﴾ [هود: ٣٢].

(**الثاني**): مجادلةُ أهلِ العُدْوانِ: ﴿أَتُجَادِلُونني في أسماءٍ سمَّيْتُمُوهَا﴾ [الأعراف: ٧١].

(**الثالث**): جدالُ إبراهيمَ والملائكةِ في بابِ قومِ لوطٍ: ﴿يُجَادِلُنا في قومِ لوطٍ﴾ [هود: ٧٤].

(**الرابع**): جدالُ صناديدِ قريشٍ في إثباتِ إلَـهِ العالمينَ ﴿وهم يُجادِلُونَ في اللّهِ﴾ [الرعد: ١٣].

ـ وجدال الكفار في بابِ القرآن ﴿إن الذين يجادلون في آيات الله﴾[غافر: ٥٦].

ـ وجدالُ المنكِرينَ في إنكارِ الحجةِ والبرهانِ، بالشُّبهةِ والبطلانِ ﴿وجادَلُوا بالباطِلِ ليُدحِضُوا بهِ الحقَّ﴾ [غافر: ٥].

ـ وجدالُ النبيِّ ﷺ في بابِ الخائنينَ من المنافقينَ ﴿ولا تجادِلْ عنِ الذينَ يختانونَ أنفسَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٧].

ـ وجدالُ الصحابةِ في حقِّهم ﴿ها أنتُمْ هؤلاءِ جادلْتُمْ عَنْهُمْ في الحياةِ الدُّنْيا فمَنْ يجادِلُ اللّهَ عَنْهُمْ﴾ [النساء: ١٠٩].

ـ وجدالُ النبيِّ ﷺ أهلَ الكتابِ باللطفِ والإحسانِ ﴿وجَادِلْهُمْ بالتي هِيَ أحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

ـ وجدالُ الصحابةِ إياهُمْ ﴿ولا تجادِلُوا أهلَ الكتابِ إلَّا بالتي هي أحسنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

ـ وجدالٌ بمعنَى الخصومةِ بينَ الحُجَّاجِ ﴿ولا جدالَ في الحجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

- وجدالُ ابنِ الزِّبَعْرَي[1] في حقِّ عيسى وعُزَيرٍ والأصنامِ ﴿ما ضربُوهُ لكَ إلَّا جَدَلاً﴾ [الزخرف: ٥٨].

- وجـدالٌ موجـودٌ في جِبِلَّةِ الإنسانِ ﴿وكـانَ الإِنْسَانُ أكثرَ شيءٍ جَدَلاً﴾ [الكهف: ٥٤].

وقيلَ الأصلُ في الجـدلِ: الصراعُ وإسقـاطُ الإنسانِ صـاحبَه عَلَى الجَـدَالـةِ. أي الأَرضِ الصُّلبـةِ. والأجـدلُ: الصَّقـرُ المحكمُ البِنْيـةِ. والمِجْدَلُ: القصرُ المحكَمُ البناءِ[2].

واعلمْ أنَّ النفسَ البشـريةَ مجبـولةٌ على الـدفاعِ عَنْ ذاتِهـا. وإبرازِ مقاصدِهَا حتى في مواقفِ القيامةِ فإنَّها لا تتخلَّى عَنْ هذهِ النزعةِ البيانيـةِ الإنسانيةِ كما في قوله تعالى: ﴿يومَ تأتي كُلُّ نفسٍ تُجادِلُ عن نفسِهَـا﴾ [النحل: ١١١].

فالجدلُ طبيعةٌ وجِبِلَّةٌ في الفطرةِ الإنسانيةِ ﴿وكانَ الإنسانُ أكثرَ شيء جدلاً﴾ [الكهف: ٥٤].

وهوَ يعودُ بمعناهُ العامِّ إلى نزعةِ البيانِ والإفصاحِ المودوعةِ فطرياً في الإنسانِ وهو بتعبيرٍ آخرَ وسيلةُ إفصاحٍ عما يجيشُ في النفسِ مِنْ تأثراتٍ وأحاسيس إما لإظهارِ مبدأ، أو نُصْرَةِ حقٍّ، أو تصحيحُ خطأ أو توجيهُ مفهومٍ أو غيرُ ذلكَ.

وإذا أُطلِقَ الجدالُ فإنهُ يعني الشيءَ المذمومَ. لقولهِ ﷺ: «ما ضَلَّ

---

(١) هو عبدالله بن الزبعري القرشي السهمي، كان من أشعر قريش وكان شديداً على المسلمين. ثم أسلم في الفتح. انظر ترجمته في «الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني» (٦/٨١ رقم ٤٦٧٠).

(٢) «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز» لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي (٢/٣٧٣ رقم ١٩). بصيرة في الجدال.

قوم بعدَ هُدىً كانُوا عليهِ إلا أُوتُوا الجدَلَ، ثم تلَا: ﴿ما ضَربُوه لـكَ إلَّا جدلًا، بل هُمْ قومٌ خَصِمُون﴾ [الزخرف: ٥٨]»[1].

فاللّهَ أسألُ أن يجنِّبَنَا المِراءَ المـذمومَ والجـدالَ الممقوتَ، ويـرزقَنا الصمتَ المحمودَ، والجدالَ المفيدَ إنهُ سميعٌ مجيبٌ.

(١) وهو حديث حسن.
أخرجه الترمذي (٥/٣٧٨ رقم ٣٢٥٣) وابن ماجه (١/١٩ رقم ٤٨) وأحمد في المسند (٥/٢٥٢ و ٢٥٦) والحاكم (٢/٤٤٧ ـ ٤٤٨) وابن أبي الدنيا في الصمت (رقم ١٣٥) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي. وحسن الألباني الحديث في صحيح الترغيب والترهيب (رقم ١٣٧).

ترجمة المؤلف

هو عبدالرحمن بن نجم بن عبدالوهاب بن عبدالواحد بن محمد بن علي بن أحمد الأنصاري، الخزرجي السعدي، العبادي، الشيرازي الأصل، الدمشقي الفقيه الواعظ، ناصح الدين أبو الفرج بن أبي العلاء بن أبي البركات بن أبي الفرج المعروف بابن الحنبلي.

ولد ليلة الجمعة سابع عشر شوالَ سنة أربع وخمسين وخمسمائة بدمشق.

وسمع بها من والده، والقاضي أبي الفضل محمد بن الشهرزوري، وأبي الحسن علي بن نجا الواعظ، وأحمد بن الحسين العراقي، وجماعة.

وشرع في الاشتغال، ورحل إلى البلاد، فأقام ببغداد مدة، وسمع بها من أبي شاكر السقلاطوني، وعبدالحق اليوسفي، ومسلم بن ثابت الوكيل، وعيسى السدوشاني، وشهدة الكاتبة وتجني الوهبانية، ونعمة بنت القاضي أبي حازم بن الفراء وغيرهم. فمن دونهم في الطبقة، كلاحقِ بنِ كارهٍ، وابن الجوزي، وعبدالمغيث الحربي.

وسمع بأصبهان من الحافظ أبي موسى المديني، وهو آخر من سمع منه؛ لأنه سمع منه في مرض موته، ومن أبي العباس الترك.

وسمع بهمدان من أبي محمد عبدالغني بن الحافظ أبي العلاء وغيره، وسمع بمكة وغيرها.

وسمع بالموصل من الشيخ أبي أحمد الحداد الزاهد شيئاً من تصانيفه.

ودخل بلاداً كثيرة، واجتمع بفضلائها وصالحيها، وفاوضهم، وأخذ عنهم، وقدم مصر مرتين. وأقام ببغداد مدة يشتغل على أبي الفتح بن المني. وقرأ على أبي البقاء العكبري «الفصيح» لثعلب من حفظه، وبعض «التصريف» لابن الجني وأخذ عن الكمال السنجاري، والبهجة الضرير، النحويَّيْنِ. واشتغل بالوعظ، وبرع فيه، ووعظ من أوائل عمره، وحصل له القبول التام.

وقد وعظ بكثير من البلاد التي دخلها، كمصر، وحلب، وأربل، والمدينة النبوية، وبيت المقدس، وكان له حرمة عند الملوك والسلاطين خصوصاً ملوك الشام بني أيوب.

وقدم بغداد حاجاً سنة اثنتي عشرة وستمائة. وأكرمه الخليفة الناصر، وحضر فتح بيت المقدس مع السلطان صلاح الدين.

ودرس الناصح بعدة مدارس، منها مدرسة جدة شرف الإسلام، ودرس بالمسمارية، مع أبي المعالي أسعد بن المنجي، ثم استقل بها وحده، وعزل ابن المنجي ثم في سنة خمس وعشرين استقر بنو المنجي بالتدريس بها بحكم أن نظرها لهم. ثم بنت له الصاحبة ربيعة خاتون مدرسة بالجبل وهي المعروفة بالصاحبية، فدرس بها سنة ثمان وعشرين وكان يوماً مشهوداً.

وحضرت الواقفة من وراء ستر. وانتهت إليه رئاسة المذهب بعد الشيخ موفق الدين. وكان يساميه في حياته.

وللناصح رحمه الله تعالى تصانيف عدة: (منها):

كتاب: «أسباب الحديث». في مجلدات عدة.

وكتاب: «الاستسعاد بمن لقيت من صالحي العباد في البلاد».

وكتاب: «الأنجاد في الجهاد». وكتاب: «تاريخ الوعاظ».

وله «خطب» و«مقامات».

ـ قال ابن النجار عنه: كان فقيهاً، فاضلاً، أديباً، حسن الأخلاق.

ـ وقال أبو شامة أيضاً: كان واعظاً، متواضعاً متفنناً، له تصانيف، وله بنيت المدرسة التي بالجبل للحنابلة، يعني مدرسة الصاحبية.

ـ وقد توفي رحمه الله يوم السبت ثالث المحرم سنة أربع وثلاثين وستمائة بدمشق. ودفن من يومه بتربتهم بسفح قاسيون[1].

---

(١) انظر ترجمته في كتاب الذيل على طبقات الحنابلة (٢/١٩٣ ـ ٢٠١ رقم ٣٠٨).
والدارس في تاريخ المدارس (٢/٧٠ ـ ٧١).
والأعلام لخيرالدين الزركلي (٣/٣٤٠).
وشذرات الذهب (٥/١٦٤ ـ ١٦٥).

منهجي في تحقيق الرسالة وتخريجها

١ ـ قدمت للرسالة مقدمة قصيرة.

٢ ـ ترجمت للمؤلف بإيجاز.

٣ ـ وضعت عناوين فرعية للرسالة. ووضعتها ضمن قوسين هكذا [ ].

٤ ـ قمت بتخريج الأحاديث من مصادرها المختلفة، وذكرت رقم الجزء والصفحة ورقم الحديث.

٥ ـ ضبطت متن الأحاديث.

٦ ـ بينت مرتبة كل حديث من الصحة والضعف غالباً.

٧ ـ عزوت الآيات إلى سورها مع التشكيل.

٨ ـ شرحت الكلمات الغريبة والعبارات الغامضة.

٩ ـ أضفت تعليقات هامة لتوضيح المعاني والغايات التي يتوخاها المؤلف رحمه الله.

١٠ ـ ذكرت الآيات التي أشار إليها المؤلف.

١١ ـ ترجمت لأعلام الرسالة.

١٢ ـ ذكرت الأحاديث التي أشار إليها المؤلف.

١٣ ـ وضعت فهرساً لموضوعات الرسالة.

اللهم إني أسألك الإخلاص في العمل والصدق في القول والثبات على الحق. وأسألك المغفرة والرحمة لي ولوالدي ولمن علمني. يا أرحم الراحمين.

صنعاء

مساء الجمعة / ٦ جمادى الأولى / ١٤١١ هـ

٢٣ / نوفمبر ـ تشرين الثاني ـ ١٩٩٠ م

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

اللهمَّ يسرْ وأعنْ يا كريمُ

[مقدمة المؤلف]

قالَ الشيخُ الإمامُ ناصحُ الدينِ أبـو الفرجِ عبـدُالرحمنِ بنُ نجمِ بنِ عبدِالوهَّابِ الأنصاريِّ ابنِ الحنبليِّ، الحمدُ للّهِ الحاوي كتابُه أنواعَ العلومِ، الـدّالِّ أمرُه علَى المـوجودِ والمعـدومِ، المشرِّفُ خِـطابُه لـذوي العقـولِ والحلومِ، الضـاربِ الأمثالَ لأربـابِ الألبابِ والفهـومِ. القـاضي بـالحقِّ والفاصلِ بينَ الظالمِ والمظلومِ يومَ اجتماعِ الخصومِ، مبرمِ الأمورَ بقضاءٍ محتومٍ، منزلِ الماءَ بقدرٍ معلومٍ، ومعلمِ الإنسانَ البيانَ في الأمرِ المظنونِ والحكمِ المجزومِ، شارعِ السبيلَ المأمونَ من الكتابِ المصونِ على لسانِ النبيِّ المعصومِ، أحمدُه حمداً غيرَ منقوصٍ ولا مهضومٍ، وأؤمنُ بهِ إيماناً غيرَ مظنونٍ ولا موهومٍ، وأشهدُ أنْ لاَّ إلهَ إلا اللّهُ وحدَه لا شريكَ لهُ شهادةً تقي حرَّ نارِ السَّمومِ، وتفي بتكفيرِ ذنبِ المأثومِ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه الحاكمُ بشرعهِ على كلِّ حاكمٍ مِنَ البريةِ ومحكومٍ، المفضلُ جمعُه على كل مفردٍ مِنَ الخلقِ وملمومٍ، صلَّى اللّهُ عليهِ وعلى آلـهِ وأصحابـهِ الذينَ لا تُحصى فضائلُهم بمنثورٍ ولا منظومٍ، ولا تُجهلُ مآثرُهم إلى يومِ الوقتِ المعلومِ.

(وبعدُ) فإنَّ الفقهاءَ رضيَ اللّهُ عَنْهُم أربابَ النـظرِ والمحرزينَ أدلـةَ العبرِ، قد أَلَّفُوا في مذاهبِ الجدالِ ما يتضمنُ تحريرَ الاستدلالِ وتقريرَ الجـوابِ والسؤالِ إلاَّ أنَّ الأمرَ الاصـطلاحيَّ منقوضٌ بمثلهِ وربَّمـا نُسِـخَ

اصطلاحاً اصطلاحُ بوعْرِهِ عندَ قومٍ أو بِسَهْلِهِ، والمذهبُ الذي يرسخُ ولا ينسخُ ويعلُو فرعُه ويشمخُ ما كانَ مجناهُ مِنْ حباتِ القلوبِ، وسُقْيَاهُ مِنَ الشرابِ الطَّهورِ المُنقَّى مِنَ العيوبِ، الكاشفِ لأسرارِ الغيوبِ ﴿لا يَأْتِيهِ الباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تنزيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَميد﴾[1].

وقدِ استخرتُ اللَّهَ تعالَى في استنباطِ طريقٍ مِنْ طرقِهِ، وإسكانِ بعضِ القاصدينَ لهذَا الفنِّ غرفةً مِنْ غرفِهِ، وهذا الكتابُ يشتملُ على ثمانيةِ أبوابٍ، لكلِّ بابٍ فضلٌ في فصلِ الخطابِ، ولكنهُ وقْفٌ على ذوي الحلومِ والألبابِ، ومشارعُ هذهِ الأبوابِ مِنَ الكتابِ المعصومِ مِنَ الزللِ والارتيابِ.

(**البابُ الأولُ**): في ذِكْرِ الجدلِ في الكتابِ العزيزِ والممدوحِ مِنْهُ والمذمومِ.

(**البابُ الثاني**): أولُ مَنْ سنَّ الجِدَالَ.

(**البابُ الثالث**): جدالُ الأنبياءِ صلواتُ اللّهِ عليهِمْ وسلامُه للأممِ.

(**البابُ الرابعُ**): ذِكرُ الأدلةِ وأنواعِها على وجودِ الصانعِ سبحانَهُ.

(**البابُ الخامسُ**): ذِكْرُ الأدلةِ على أنهُ واحدٌ.

(**البابُ السادسُ**): ذكرُ أدلةِ البعثِ.

(**البابُ السابعُ**): ذِكْرُ الأدلةِ على رسالةِ محمدٍ صلَّى اللَّهُ عليهِ وآلهِ وسلَّمَ مِنَ القرآنِ العزيزِ.

(**البابُ الثامنُ**): في السؤالِ والجوابِ ونُكتٍ مِنَ الجدلِ فهذهِ ثمانيةُ أبوابٍ، وعلى توفيقِ اللّهِ سبحانَه وتعالَى الإحالةُ بالصوابِ.

---

(١) سورة فصلت: الآية ٤٢.

(الباب الأول)
[في ذكر الجدل والحُجَّة]

في ذكر الجدل والحجة:

اعلمْ أنَّ اللَّهَ سبحانَه ذكرَ لفظةَ الجدلِ وما تصرَّفَ مِنْها في كتابِهِ العزيزِ في تسعةٍ وعشرينَ موضِعاً(١) ـ ولفظةُ الحجةِ وما تصرفَ منها في سبعةٍ وعشرينَ

(١) يشير المؤلف إلى الآيات التالية:

١ ـ في سورة البقرة: الآية ١٩٧: ﴿فمن فرضَ فيهنَّ الحجَّ فلا رفثَ ولا فُسُوقَ ولا جدال في الحج﴾.

٢ ـ وفي سورة النساء: الآية ١٠٧: ﴿ولا تُجادِلْ عَنِ الذين يختانونَ أنفسَهُم﴾.

٣ ـ وفي سورة النساء: الآية ١٠٩: ﴿ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا، فمن يجادِلُ اللّهَ عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلاً﴾.

٤ ـ وفي سورة الأنعام: الآية ٢٥: ﴿حتى إذا جاؤوك يُجادِلُونَكَ، يقولُ الذين كفروا إنْ هذا إلَّا أساطير الأولين﴾.

٥ ـ وفي سورة الأنعام: الآية ١٢١: ﴿وإنَّ الشياطينَ ليوحُونَ إلى أوليائِهِمْ ليُجَادِلُوكُمْ وإنْ أطعتموهُم إنكم لمشركون﴾.

٦ ـ وفي سورة الأعراف: الآية ٧١: ﴿أتجادِلونني في أسماءٍ سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزَّلَ اللّهُ بها من سُلطان﴾.

٧ ـ وفي سورة الأنفال: الآية ٦: ﴿يُجادلونك في الحقِّ بعدما تبين كأنما يساقُونَ إلى الموت وهم ينظرون﴾.

٨ ـ وفي سورة هود: الآية ٣٢: ﴿قالوا يا نوحُ قد جادلْتَنا فأكثرتَ جدالَنَا فأتِنا بما تعدنا إن كنتَ من الصادقين﴾.

٩ ـ وفي سورة هود: الآية ٧٤: ﴿فلما ذهبَ عن إبراهيمَ الرَّوعُ وجاءتْهُ البشرى يُجادلُنَا في قومِ لوط﴾. =

. . . .

= ١٠ ــ وفي سورة الرعد: الآية ١٣: ﴿ويُسبحُ الرَّعْدُ بحمدِهِ والملائكة من خيفتِهِ ويرسِلُ الصواعِقَ فيصيبُ بها من يشاءُ وهم **يجادلُونَ** في اللّهِ وهو شديدُ المِحَالِ﴾.

١١ ــ وفي سورة النحل: الآية ١١١: ﴿يومَ تأتي كلُّ نفسٍ **تُجَادِلُ** عن نفسِهَا وتوفَّى كلُّ نَفْسٍ ما عَملت وهم لا يُظْلَمُونَ﴾.

١٢ ــ وفي سورة النحل: الآية ١٢٥: ﴿ادعُ إلى سبيل ربكَ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ **وَجَادِلْهُم** بالتي هي أحسن﴾.

١٣ ــ وفي سورة الكهف: الآية ٥٤: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا في هذَا القُرْآنِ للناسِ من كُلِّ مَثَلٍ وكان الإنسانُ أكثرَ شيءٍ **جَدَلاً**﴾.

١٤ ــ وفي سورة الكهف: الآية ٥٦: ﴿وما نُرْسِلُ المرسَلينَ إلا مُبَشِّرِينَ ومنذرِينَ**ويجادِلُ** الذين كفروا بالباطِلِ لِيُدْحِضُوا به الحق﴾.

١٥ ــ وفي سورة الحج: الآية ٣: ﴿ومن الناسِ من **يُجادِلُ** في اللّهِ بغيرِ عِلْمٍ ويتبعُ كُلَّ شيطان مَرِيدٍ﴾.

١٦ ــ وفي سورة الحج: الآية ٨: ﴿ومن الناس من **يُجادلُ** في اللّهِ بغيرِ عِلْمٍ ولا هُدىً ولا كتابٍ منير﴾.

١٧ ــ وفي سورة الحج: الآية ٦٨: ﴿وإن **جادلُوكَ** فَقُلِ اللّهُ أعْلَمُ بما تعملون﴾.

١٨ ــ وفي سورة العنكبوت: الآية ٤٦: ﴿ولا **تجادلوا** أهل الكتاب إلاَّ بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم﴾.

١٩ ــ وفي سورة لقمان: الآية ٢٠: ﴿ومن الناسِ من **يجادِلُ** في الله بغير علم ولا هُدىً ولا كتاب منير﴾.

٢٠ ــ وفي سورة غافر: الآية ٤: ﴿ما **يُجادِلُ** في آيات اللّهِ إلاَّ الذين كفروا﴾.

٢١ ــ وفي سورة غافر: الآية ٥: ﴿**وجادلُوا** بالباطِلِ لِيُدْحِضُوا به الحقَّ فأخَذْتُهم﴾.

٢٢ ــ وفي سورة غافر: الآية ٣٥: ﴿الذين **يجادلونَ** في آيات اللّهِ بغير سُلطانٍ أتاهم﴾.

٢٣ ــ وفي سورة غافر: الآية ٥٦: ﴿إن الذينَ **يجادِلُونَ** في آيات الله بغير سُلطانٍ أتاهم إن في صدورِهِم إلا كِبْرٌ ما هُم ببالغيهِ﴾.

٢٤ ــ وفي سورة غافر: الآية ٦٩: ﴿ألم تَرَ إلى الذينَ **يُجادلُونَ** في آيات اللّهِ أنَّى يُصرفون﴾. =

= ٢٥ ــ وفي سورة الشورى: الآية ٣٥: ﴿وَيَعْلَمُ الذينَيجادلُونَ في آياتنا ما لهم من محيص﴾.

٢٦ ــ وفي سورة الزخرف: الآية ٥٨: ﴿ما ضربُوهُ لكَ إلاّ جَدَلاً﴾.

٢٧ ــ وفي سورة المجادلة: الآية ١: ﴿قد سمعَ اللّهُ قولَ التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله﴾.

قلت: لفظة (الجدل) وما تصرف منها ذكرت في القرآن تسعاً وعشرين مرة في سبع وعشرين آية. كما تقدم.

(١) يشير المؤلف إلى الآيات التالية:

١ ــ في سورة البقرة: الآية ٧٦: ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعضٍ قالوا أتحدِّثُونَهُم بما فتح اللّهُ عليكمليحاجُّوكُم به عند ربكم أفلا تعقلون﴾.

٢ ــ وفي سورة البقرة: الآية ١٣٩: ﴿قُل أتُحاجُّوننا في اللّهِ وهو ربنا وربُّكُم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلِصُون﴾.

٣ ــ وفي سورة البقرة: الآية ١٥٠: ﴿ومن حيث خرجتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المسجدِ الحرامِ وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حُجَّةٌ إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون﴾.

٤ ــ وفي سورة البقرة: الآية ١٥٨: ﴿فمن حجَّ البيتَ أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطَّوَف بهما﴾.

٥ ــ وفي سورة البقرة: الآية ١٨٩: ﴿يسألونك عن الأهلَّةِ قل هي مواقيتُ للناس والحجّ﴾.

٦ ــ وفي سورة البقرة: الآية ١٩٦: ﴿وأتموا الحجَّ والعمرةَ للّهِ﴾. ﴿فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم﴾.

٧ ــ وفي سورة البقرة: الآية ١٩٧: ﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾.

٨ ــ وفي سورة البقرة: الآية ٢٥٨: ﴿ألم تر إلى الذي حَاجَّ إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يُحيي ويميتُ قال أنا أُحيي وأميت﴾.

٩ ــ وفي سورة آل عمران: الآية ٢٠: ﴿فإن حَاجُّوكَ فقل أسلمت وجهيَ للّهِ ومن اتبَعَنِ﴾. =

. . . .

= ١٠ ـ وفي سورة آل عمران: الآية ٦١: ﴿فمن **حَاجَّكَ** فيه من بعدما جاءَكَ من العلم فقل تعالَوْا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءَنا ونساءكم وأنفسنا وأنفُسَكم ثم نبتهل فنجعل لعنةَ اللّهِ على الكاذبين﴾.

١١ ـ وفي سورة آل عمران: الآية ٦٥: ﴿يا أهل الكتاب لِمَ **تُحاجُّونَ** في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيلُ إلا من بعده﴾.

١٢ ـ وفي سورة آل عمران: الآية ٦٦: ﴿ها أنتم هؤلاء **حَاجَجْتُمْ** فيما لكم به علم فلما **تحاجُّونَ** فيما ليس لكم به علم﴾.

١٣ ـ وفي سورة آل عمران: الآية ٧٣: ﴿ولا تُؤمنوا إلاَّ لمن تَبِعَ دينكم قل إنَّ الهُدى هُدى اللّهِ أن يُؤتىٰ أحدٌ مثل ما أوتيتم أو **يحاجُّوكم** عند ربكم﴾.

١٤ ـ وفي سورة آل عمران: الآية ٩٧: ﴿وللّهِ على الناس حجُّ البيتِ من استطاع إليه سبيلاً﴾.

١٥ ـ وفي سورة النساء: الآية ١٦٥: ﴿رسُلاً مبشرِينَ ومنذرِينَ لئلا يكون للناسِ على الله **حجةٌ** بعد الرسلِ﴾.

١٦ ـ وفي سورة الأنعام: الآية ٨٠: ﴿**وحاجَّهُ** قَوْمُهُ قال **أتُحاجُّونِّي** في اللّهِ وقد هدانِ﴾.

١٧ ـ وفي سورة الأنعام: الآية ٨٣: ﴿وتلك **حُجتنا** آتيناها إبراهيمَ على قومه﴾.

١٨ ـ وفي سورة الأنعام: الآية ١٤٩: ﴿قل فللّهِ **الحجةُ** البالغة﴾.

١٩ ـ وفي سورة التوبة: الآية ٣: ﴿وَأَذانٌ من اللّهِ ورسُولِهِ إلى الناسِ يومَ **الحج** الأكبر أنَّ اللّهَ بريءٌ من المشركين ورسولُهُ﴾.

٢٠ ـ وفي سورة التوبة: الآية ١٩: ﴿أجعلتم سِقـاية **الحـاجِّ** وعمارةَ المسجـد الحرام كمن آمن باللّهِ واليومِ الآخِرِ وجاهد في سبيل الله﴾.

٢١ ـ وفي سورة الحج: الآية ٢٧: ﴿وأذِّن في الناسِ **بالحج** يأتوك رجالاً وعلى كل ضامِرٍ يأتين من كُلِّ فج عميق﴾.

٢٢ ـ وفي سورة القصص: الآية ٢٧: ﴿قال إني أريد أن أُنكحك إحدى ابنتيَّ هاتين على أن تأجرني ثمانيَ **حِجَجٍ**﴾.

٢٣ ـ وفي سورة غافر: الآية ٤٧: ﴿وإذ **يتحاجُّون** في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار﴾.

٢٤ ـ وفي سورة الشورى: الآية ١٥: ﴿لا **حُجَّةَ** بيننا وبينكُمُ اللّهُ يجمع بيننا وإليه المصير﴾. =

أيضاً في ثلاثةٍ وثلاثينَ موضِعاً[1] الجميعُ المرادُ بِهِ الحجةُ سِوى موضعٍ واحدٍ

= ٢٥ ـ وفي سورة الشورى: الآية ١٦: ﴿والذين **يحاجُّون** في اللّهِ من بعد ما استجيب له **حُجَّتهم** داحضةٌ عند ربهم وعليهم غضبٌ ولهم عذابٌ شديدٌ﴾.

٢٦ ـ وفي سورة الجاثية: الآية ٢٥: ﴿وإذا تُتلىٰ عليهم آياتُنا بيناتٍ ما كان **حُجتهم** إلا أن قالوا ائتُوا بآبائنا إن كنتم صادقين﴾.

قلت: لفظة (الحجة) وما تصرف منها. ذكرت في القرآن ثلاثاً وثلاثين مرة في ست وعشرين آية. كما تقدم.

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى الآيات التالية:

١ ـ في سورة آل عمران: الآية ١٥١: ﴿سنلقي في قُلُوبِ الذين كفروا الرُّعْبَ بما أشْرَكُوا باللّهِ ما لم يُنَزِّلْ بِهِ **سُلطاناً**﴾.

٢ ـ وفي سورة النساء: الآية ٩١: ﴿وأُولاَئكم جعلنا لكم عليهم **سلطاناً** مبيناً﴾.

٣ ـ وفي سورة النساء: الآية ١٤٤: ﴿أتريدُون أن تجعلُوا للّهِ عليكم **سلطاناً** مبيناً﴾.

٤ ـ وفي سورة النساء: الآية ١٥٣: ﴿وآتينا موسى **سلطاناً** مبيناً﴾.

٥ ـ وفي سورة الأنعام: الآية ٨١: ﴿وكيفَ أخافُ ما أشركتُم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم **سلطاناً**﴾.

٦ ـ وفي سورة الأعراف: الآية ٣٣: ﴿قل إنما حَرَّمَ ربيَ الفواحِشَ ما ظهرَ منها وما بطنَ والإثم والبغي بغير الحق وأن تشرِكوا باللّهِ ما لم يُنَزِّلْ به **سلطاناً** وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾.

٧ ـ وفي سورة الأعراف: الآية ٧١: ﴿أتجادلونني في أسماءٍ سميتموها أنتم وآباؤكم ما نَزَّل اللّهُ بها من **سلطانٍ**﴾.

٨ ـ وفي سورة يونس: الآية ٦٨: ﴿إنْ عندكم من **سُلطان** بهذا﴾.

٩ ـ وفي سورة هود: الآية ٩٦: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا **وسلطان** مبين﴾.

١٠ ـ وفي سورة يوسف: الآية ٤٠: ﴿ما تعبدونَ من دونه إلَّا أسماءً سميتموهَا أنتم وآباؤكم ما أنزلَ اللّهُ بها من **سُلطان**﴾.

١١ ـ وفي سورة إبراهيم: الآية ١٠: ﴿قالوا إن أنتم إلا بَشَرٌ مِثْلُنَا تريدون أن تصدُّونا عمَّا كان يعبد آباؤنَا فأتوا **بسلطانٍ** مبين﴾.

١٢ ـ وفي سورة إبراهيم: الآية ١١: ﴿وما كان لنا أن نأتيكم **بسلطانٍ** إلا بإذنِ الله﴾.

= ١٣ ــ وفي سورة إبراهيم: الآية ٢٢: ﴿وقال الشيطانُ لما قُضِيَ الأمْرُ إنَّ اللّهَ وعدكُمْ وَعْدَ الحق ووعدتكم فأخلفتُكُم وما كان لي عليكم من سلطانٍ إلَّا أن دعوتُكم فاستجبتُم لي﴾.

١٤ ــ وفي سورة الحجر: الآية ٤٢: ﴿إنَّ عبادي ليس لك عليهم سُلطان إلا من اتبعكَ من الغاوين﴾.

١٥ ــ وفي سورة النحل: الآية ٩٩: ﴿إنَّهُ ليس لَهُ سُلطانٌ على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾.

١٦ ــ وفي سورة النحل: الآية ١٠٠: ﴿إنَّمَا سُلطانُهُ على الذين يتولَّونه والذين هم به مشركون﴾.

١٧ ــ وفي سورة الإسراء: الآية ٣٣: ﴿ومن قُتِلَ مظلوماً فقد جَعَلْنَا لوليهِ سُلطاناً فلا يُسرف في القتل﴾.

١٨ ــ وفي سورة الإسراء: الآية ٦٥: ﴿إنَّ عبادي ليس لك عليهم سلطانٌ﴾.

١٩ ــ وفي سورة الإسراء: الآية ٨٠: ﴿وقُلْ رَبِّ أدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وأخرجني مُخْرَجَ صِدْقٍ واجعل لي من لدُنكَ سُلطاناً نصيراً﴾.

٢٠ ــ وفي سورة الكهف: الآية ١٥: ﴿لولا يأتُونَ عليهم بسُلطانٍ بَيِّنٍ﴾.

٢١ ــ وفي سورة الحج: الآية ٧١: ﴿ويعبدُونَ من دونِ اللّهِ ما لم يُنَزِّلْ به سُلطاناً وما ليس لهم به عِلْمٌ﴾.

٢٢ ــ وفي سورة المؤمنون: الآية ٤٥: ﴿ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتِنا وسُلطانٍ مبينٍ﴾.

٢٣ ــ وفي سورة النمل: الآية ٢١: ﴿لأعذبنَّهُ عذاباً شدِيداً أو لأذبحنَّهُ أو ليأتِيَنِّي بسلطانٍ مبينٍ﴾.

٢٤ ــ وفي سورة القصص: الآية ٣٥: ﴿قال سنشدُّ عضُدَكَ بأخيكَ ونجعلُ لكما سلطاناً فلا يصلُونَ إليكُمَا﴾.

٢٥ ــ وفي سورة الروم: الآية ٣٥: ﴿أم أنزلْنا عليهم سُلطاناً فهو يتكلَّمُ بما كانوا به يشركون﴾.

٢٦ ــ وفي سورة سبأ: الآية ٢١: ﴿وَمَا كانَ لَهُ عَلَيْهِم من سُلطان إلَّا لنعلمَ من يؤمنُ بالآخِرَةِ ممن هو منها في شكٍ﴾.

٢٧ ــ وفي سورة الصافات: الآية ٣٠: ﴿وما كان لنا عليكم من سُلطان﴾.

٢٨ ــ وفي سورة الصافات: الآية ١٥٦: ﴿أم لكم سلطانٌ مبينٌ﴾. =

في الحاقة[1]: ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ وقيـلَ: المرادُ بِهِ الحجةُ، فأما الجدلُ فهوَ مذمومٌ في كلِّ موضعٍ ذُكِرَ إلا في ثلاثةِ مواضعَ:

(**أحدُها**): في النحلِ[2]: ﴿ادعُ إلى سبيلِ ربِّكَ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ وجادِلْهم بالتي هيَ أحسن﴾.

(**الموضعُ الثاني**): في العنكبوتِ[3]: ﴿ولا تُجادِلُوا أهلَ الكتابِ إلاَّ بالتي هيَ أحسنُ﴾.

= ٢٩ ـ وفي سورة غافر: الآية ٢٣: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا و**سلطان** مبين﴾.

٣٠ ـ وفي سورة غافر: الآية ٣٥: ﴿الذين يجادلون في آيات اللّهِ بغير **سلطان** أتاهم﴾.

٣١ ـ وفي سورة غافر: الآية ٥٦: ﴿إن الذين يجادلون في آيات الله بغير **سلطانٍ** أتاهم إن في صدورهم إلا كبرٌ ما هم ببالغيه﴾.

٣٢ ـ وفي سورة الدخان: الآية ١٩: ﴿وأن لا تعلُوا على اللّهِ إني آتيكم **بسلطان** مبين﴾.

٣٣ ـ وفي سورة الذاريات: الآية ٣٨: ﴿وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعونَ **بسلطانٍ** مبينٍ﴾.

٣٤ ـ وفي سورة الطور: الآية ٣٨: ﴿أم لهم سُلَّمٌ يستمعونَ فيه فليأتِ مستمعُهُم **بسلطانٍ** مبين﴾.

٣٥ ـ وفي سورة النجم: الآية ٢٣: ﴿إن هي إلاَّ أسماءٌ سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل اللّهُ بها من **سلطان**﴾.

٣٦ ـ وفي سورة الرحمٰن: الآية ٣٣: ﴿لا تنفذون إلاَّ **بسلطان**﴾.

٣٧ ـ وفي سورة الحاقة: الآية ٢٩: ﴿هلكَ عني **سُلطانيه**﴾.

قلت: لفظة (سلطان) وردت في القرآن سبعاً وثلاثين مرة في سبعة وثلاثين آية. وليست ثلاثة وثلاثين كما ذكر المؤلف.

(١) الآية ٢٩.

(٢) الآية ١٢٥.

(٣) الآية ٤٦.

(**الموضعُ الثالثُ**): في المجادلةِ[1]: ﴿قَدْ سمِعَ اللَّهُ قولَ الَّتي تجادلكَ في زَوْجِها﴾، وهذه المرأةُ هيَ خولةُ بنتُ ثعلبةَ الأنصاريةُ[2]، كانتْ تحتَ زوجِها أوسِ بنِ الصامتِ[3] والقصةُ مشهورةٌ[4]. فأما قولُه سبحانَه:

---

(١) الآية ١.

(٢) انظر ترجمتها في «الإصابة» لابن حجر (١٢/٢٣١ - ٢٣٣ رقم ٣٥٩).

(٣) أخو عُبادة بن الصامت، ذكروه فيمن شهد بدراً والمشاهد. مات سنة (٣٦ هـ) بالرملة. انظر ترجمته في «الإصابة» لابن حجر (١/١٣٧ - ١٣٨ رقم ٣٣٩).

(٤) أخرج أبو داود (٢/٦٦٢ رقم ٢٢١٤) وابن الجارود في المنتقى (رقم ٧٤٦) والطبراني في الكبير (١/٢٢٥ رقم ٦١٦) وابن حبان (ص ٣٢٤ رقم ١٣٣٤ - الموارد) والبيهقي (٧/٣٨٩) وأحمد (٦/٤١٠) وغيرهم.

عن خُوَيْلة بنت مالك بن ثعلبة، قالت: ظاهر مني زوجي أوسُ بن الصامت، فجئتُ رسول الله ﷺ أشكو إليه، ورسول الله ﷺ يُجادلني فيه، ويقول: «اتقي الله فإنه ابن عمك» فما برحت حتى نزل القرآن ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾ [المجادلة: ١] إلى الفرض - أي إلى ما فرض الله في هذه الآيات من كفارة الظهار - فقال: «يعتق رقبة» قالت: لا يجد، قال: «فيصوم شهرين متتابعين» قالت: يا رسول الله، إنه شيخ كبير ما به من صيام، قال: «فليطعم ستين مسكيناً» قالت: ما عنده من شيء يتصدق به، قالت: فأتيَ ساعتئذٍ بعَرَقٍ من تمر، قلت يا رسول الله، فإني أعينه بعَرَق آخر، قال: «قد أحسنتِ، إذهبي فأطعِمي بها عنه ستينَ مسكيناً، وارجعي إلى ابن عمك» قال: والعرق ستون صاعاً.

وفيه: معمر بن عبدالله بن حنظلة وهو مجهول. قال الذهبي في الميزان (٤/١٥٥ رقم ٨٦٨٦): «معمر بن عبدالله بن حنظلة. كان في زمن التابعين لا يُعرف، وذكره ابن حبان في «ثقاته» قلت: ما حدث عنه سوى ابن إسحاق بخبر مظاهرة أوس بن الصامت».

وقال الحافظ في «التقريب» (٢/٢٦٦ رقم ١٢٨٦): «مدني مقبول». يعني في المتابعة، وإلا فلين الحديث كما نص عليه في المقدمة. ومع ذلك، فقد حسن إسناد حديثه هذا في «الفتح» (٩/٤٣٣).

● قلت: وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث عند أحمد وابن حبان، ولكن أخرجه البيهقي (٧/٣٨٩ - ٣٩٠) من طريق إسماعيل بن جعفر، نا محمد بن أبي حرملة، عن عطاء بنُ يسار، أن خويلة بنت ثعلبة... فساقه. =

= قلت: وهذا مرسل صحيح الإسناد.

قال البيهقيُ: «وهو شاهد للموصول قبله» وهو يعني يقويه.

● وله شاهد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه البزار (٢/١٩٨ رقم ١٥١٣) والبيهقي (٧/٣٩٢) عن عبيدالله بن موسى.

والطبراني في الكبير (١١/٢٦٤ رقم ١١٦٨٩) عن الأبيض بن الأغر بن الصبّاح كلاهما عن أبي حمزة الثمالي، عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان الرجل إذا قال لامرأته في الجاهلية: أنت عليَّ كظهر أمي، حرمت عليه، وكان أول من ظاهر في الإسلام رجل كانت تحته ابنة عم له، يُقال لها خويلة، فظاهر منها، فأسقط في يده، وقال: ألا قد حرمت عليّ، وقالت له مثل ذلك، قال: فانطلق إلى النبي ﷺ فقال: يا خويلة، فجعلت تشتكي إلى النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله﴾ إلى قوله: ﴿فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا﴾ قالت: أيُّ رقبةٍ، ما له غيري. قال: فصيام شهرين متتابعين، قالت: والله إنه ليشرب في اليوم ثلاث مرات قال: فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً. قالت: بأبي وأمي ما هي إلا أكلة إلى مثلها لا نقدر على غيرها. فدعا النبي ﷺ بشطر وسق ثلاثين صاعاً، والوسق ستون صاعاً، فقال: «ليطعمك ستين مسكيناً وليراجعك».

قال البزار: «لا نعلم بهذا اللفظ في الظهار، عن النبي ﷺ إلاَّ بهذا الإسناد وأبو حمزة لين الحديث، وقد خالف في روايته ومتن حديثه الثقات في أمر الظهار، لأنَّ الزهري رواه عن حميد بن عبدالرحمن، عن أبي هريرة، وهذا إسناد لا نعلمه بين علماء أهل الحديث اختلافاً في صحته بأنه النبي ﷺ دعا بإناء فيه خمسة عشر صاعاً، وحديث أبي حمزة منكر، وفيه لفظ يدل على خلاف الكتاب، لأنه قال: وليُراجعك، وقد كانت امرأته، فما معنى مراجعته امرأته ولم يطلقها، وهذا مما لا يجوز على رسول الله ﷺ، وإنما أتى هذا من روايةُ أبي حمزة الثمالي». ا. هـ.

وعزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/٥) إلى البزار وقال: فيه حمزة الثمالي وهو ضعيف.

● وله شاهد ثالث مرسل عن صالح بن كيسان. أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٨/٣٧٨ - ٣٧٩) وإسناده صحيح.

● وله شاهد رابع موصول مختصر، من طريق تميم بن سلمة السلمي عن عروة، قال: قالت عائشة رضي الله عنها: =

﴿وَجَادِلْهُمْ بالتي هيَ أحسنُ﴾[1] فيحتملُ أنْ يكونَ المرادُ بالأحسنِ الأظهرَ مِنَ الأدلةِ. ويُحْتَمَلُ التعجيزُ عنِ الإتيانِ بمثلِ القرآنِ؛ لأنهُ أحسنُ الأدلةِ نظاماً وَبياناً وأكملُها حُسْناً وإحساناً وأرْجَحُها مِنَ الثوابِ ميزاناً وأوضحُها على اختلافِ مدلولاتِها كَشْفاً وبُرْهَاناً. ويحتملُ الإصغاءُ إلى شُبَهِهِمْ والرفقُ بهم في حلِّها وَدَحْضِها. ويحتملُ بتركِ الغلظةِ عليهمْ في حالِ جِدَالهِمْ لتكونَ عليهمُ الحجةُ أظهرَ والجحدُ منهم أنكدَ وهيَ سنةُ الأنبياءِ عليهمُ السلامُ، مَعَ الأممِ عندَ الدعوةِ.

والمجادلةُ مِنْ ذلكَ لما قالُوا لمحمدٍ صلَّى اللّهُ عليهِ وسلَّمَ مجنونٌ. قالَ: ﴿وَمَا مَسَّنِي السُّوءُ﴾[2]، أيْ: جنونٌ[3] مِنْ غيرِ أنْ يقابلَهم على ذلكَ بقولٍ خشنٍ معَ النخوةِ العربيةِ والعزةِ الهاشميةِ. وقالُوا لنوحٍ عليهِ السلامُ:

= «تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفى عليَّ بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول: يا رسول الله أكل شبابي، ونثرت له بطني حتى إذا كبرت سني، وانقطع له ولدي ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، قالت عائشة: فما برحت حتى نزل جبريل عليه السلام بهؤلاء الآيات: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها..﴾ قال: وزوجها أوس بن الصامت».

أخرجه ابن ماجه (١/٦٦٦ رقم ٢٠٦٣) والنسائي (٦/١٦٨) والحاكم في المستدرك (٢/٤٨١) وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، ووافقهما الألباني في الإرواء (٧/١٧٥).

قلت: وأصل القصة أخرجها البخاري (١٣/٣٧٢) تعليقاً. قال: قال الأعمش، عن تميم، عن عروة، عن عائشة، قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات. فأنزل الله على النبي ﷺ: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾.

وخلاصة القول: أن حديث خويلة بنت مالك بن ثعلبة بهذه الشواهد صحيح.

(١) سورة النحل: الآية ١٢٥.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٨٨.

(٣) وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه (٢/٥٩٣ رقم ٤٦/٨٦٨). =

﴿إنْ هُوَ إلا رَجُلٌ بهِ جِنَّةٌ... قالَ رَبِّ انصُرْني بما كذَّبُون﴾[1]، وقالُوا لهُ: ﴿إنَّا لنراكَ في ضَلَالٍ مُبينٍ قالَ يا قومِ ليسَ بي ضَلالةٌ ولكنِّي رسُولٌ مِنْ رَبِّ العالمين﴾[2]. وقالُوا لصالحٍ: ﴿إنْ هُوَ إلَّا رَجُلٌ افْتَرَى علَى اللّهِ كذباً... قالَ رَبِّ انصُرْنِي بما كَذَّبون﴾[3]، وقالُوا لهودٍ: ﴿إنَّا لنراكَ في سَفَاهَةٍ وإنَّا لنظُنُّكَ مِنَ الكَاذِبينَ. قالَ يا قومِ ليسَ بي سَفَاهَةٌ ولكنِّي رسُولٌ

= عن ابن عباسٍ، أنَّ ضِمَاداً قَدِمَ مكَّةَ. وكان من أَزْدِ شَنُوءَة. وكان يَرْقِي من هذه الريح. فسمعَ سُفهاءَ مِنْ أهْلِ مكةَ يقولون: إنَّ محمداً مجنونٌ. فقال: لو أني رأيت هذا الرجُلَ لعلَّ اللّهَ يَشْفِيهِ علىٰ يَدَيَّ. قالَ: فَلَقِيَهُ. فقالَ: يا محمدُ! إني أَرْقِي من هذِهِ الريحِ. وإنَّ اللّهَ يشفي على يدي من شاءَ. فهل لكَ؟ فقالَ رسولُ الله ﷺ: «إن الحمدَ للّهِ. نحمدُهُ ونستعينُهُ. من يهدِهِ اللّهُ فلا مُضِلَّ له. ومن يُضلِلْ فلا هادِيَ له. وأشهدُ أن لا إلهَ إلَّا اللّهُ وحدَهُ لا شريكَ له. وأن محمداً عبدُهُ ورسولُهُ. أما بَعْدُ». قال: فقال: أَعِدْ عليَّ كلماتِكَ هؤلاء. فأعادهُنَّ عليه رسولُ اللّهِ ﷺ ثلاث مراتٍ. قال: فقال: لقد سمعتُ قول الكهَنَةِ. وقول السَّحَرَةِ وقول الشعراءِ. فما سمعتُ مِثْلَ كلماتِكَ هؤلاء. ولقد بلَغْنَ ناعوسَ البحر. قال: فقال: هات يدكَ أُبايِعْكَ على الإسلام. قال: فبايَعَهُ. فقال رسول الله ﷺ: «وعلى قومكَ». قال: وعلى قومي. قال: فبعثَ رسولُ الله ﷺ سَرِيَّةً فمروا بقومِهِ. فقال صاحبُ السريةِ للجيشِ: هل أصبتم من هؤلاءِ شيئاً؟ فقالَ رجُلٌ من القوم: أصبتُ منهم مِطْهَرَةً. فقال: رُدُّوها. فإن هؤلاءِ قومُ ضمادٍ.

- يرقي: من الرقية وهي العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة.
- من هذه الريح: المراد بالريح، هنا، الجنون ومس الجن.
- فهل لك: أي فهل لك رغبة في رقيتي، وهل تميل إليها.
- ناعوس البحر: ضبطناه بوجهين: أشهرهما ناعوس. هذا هو الموجود في أكثر نسخ بلادنا. والثاني قاموس. وهذا الثاني هو المشهور في روايات الحديث في غير صحيح مسلم. وقال القاضي عياض: أكثر نسخ صحيح مسلم وقع فيها قاعوس، قال أبو عبيد: قاموس البحر وسطه. وقال ابن دريد: لجته. وقال صاحب كتاب العين: قعره الأقصى.
- مطهرة: المطهرة والإداوة: السطيحة.

(١) سورة المؤمنون: الآيتان ٢٥ ـ ٢٦.

(٢) سورة الأعراف: الآيتان ٦٠ ـ ٦١.

(٣) سورة المؤمنون: الآيتان ٣٨ ـ ٣٩.

مِنْ رَبِّ العالمينَ﴾[1] فلو قابلَهم الأنبياءُ بغلظةٍ لنفرتْ طبـاعُهم وانصرفتْ عقولُهم عنِ التسديدِ لما قالُوا والتدبرِ لِمَا جاؤُوا بِهِ مِنَ البيناتِ، فلم تتضحْ لهم المحجةُ، ولم تقمْ عليهمُ الحجةُ[2]، وشاهدُ هذهِ الحالةِ قولُه تعالى: ﴿وإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ العِزَّةُ بالإثم ِ﴾[3].

---

(1) سورة الأعراف: الآيتان ٦٦ - ٦٧.

(2) وقد دلت الآيات القرآنية على هذا المعنى، فقال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿ولو كنتَ فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿إذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى﴾ [طه: ٤٤].

(3) سورة البقرة: الآية ٢٠٦.

(الباب الثاني)
[في أول من سن الجدَال]

أولُ مَنْ سنَّ الجـدالَ المـلائِكـةُ صلواتُ اللّهِ عليهمْ حيثُ قـالُـوا: ﴿أَتَجْعَلُ فيها مَنْ يُفْسِدُ فيها وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ونحنُ نُسَبِّحُ بحمدِكَ ونُقَدِّسُ لكَ قـالَ إني أعْلَمُ مـا لا تعلمـونَ﴾[1]. وهـذا مِنْهُمْ استـدلالٌ بـالتـرجيـحِ والأولويةِ[2]، أيْ: مَنْ سبَّحَ وقدَّسَ لكَ هوَ أَوْلَى بالإيجادِ والجعْلِ فيها ممنْ يفسِدُ فيها ويسفكُ الدماءَ، وكانَ جوابُ اللّهِ لهم بالترجيحِ أيضاً مِنْ جهةٍ أُخْرَى ولهذا لم يردَّ عليهمْ قولَهم، إذْ قَدْ علمَ سبحانَه أنَّ الذي ظنُّوهُ فيهم ووصفُوهم بهِ كائنٌ بَلْ عدل اللّه سبحانَه إلى أمرٍ مجملٍ فقالَ: ﴿إنِّي أَعْلَمُ

(١) سورة البقرة: الآية ٣٠.

(٢) واعلم أن جدال الملائكة من قبيل الاستعلام والاستكشاف عن الحكمة في ذلك، يقولون: يا ربنا، ما الحكمة في خلق هؤلاء، مع أن منهم من يفسد في الأرض ويسفك الدماء؟ فإن كان المرادُ عبادتَك فنحن ﴿نسبح بحمدك ونقدس لك﴾ أي: نصلي لك ـ كما سيأتي ـ أي ولا يصدر منا شيء من ذلك، وهلَّا وقع الاقتصارُ علينا؟. قال الله تعالى مجيباً لهم عن هذا السؤال: ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾ أي: إني أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هذا الصنف ـ على المفاسد التي ذكرتموها ـ ما لا تعلمون أنتم، فإني سأجعل فيهم الأنبياء وأرسل فيهم الرسل، ويوجد منهم الصديقون والشهداء والصالحون، والعباد والزهاد والأولياء والأبرار والمقربون، والعلماء العاملون والخاشعون، والمحبون له تبارك وتعالى المتبعون رسله صلوات الله وسلامه عليهم». ا.هـ. انظر «عمدة التفسير» عن الحافظ ابن كثير. اختصار وتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر (١/١٢٩).

مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[1] مِنْ تَرتيبِ خَلْقِي وتدبيرِ صُنعِي المحوطِ بالحكمةِ الدالِّ على القدرةِ فإني خلقتُ الملائكةَ مِنْ نورٍ لا ظلمةَ فيهِ، فكانَ منهمُ الخيرُ المحضُ بإرادتي، وخلقتُ الشياطينَ مِنْ ظُلْمَةِ نارِ السَّمومِ[2] وَهُوَ المارجُ، فكانَ منهمُ الشرُّ المحضُ بإرادتي، وخلقتُ آدمَ وذريتهُ مِنْ نورٍ وظلمةٍ[3]، فكانَ منهمُ الخيرُ والشرُّ بإرادتي، ووضعتُ فيهمْ عَقْلاً يرشدُ إلى المصالحِ، ونفسَاً ميالةً إلى الْهَوَى الْمُرْدِي، وأمددتُ الفريقينِ بجندينِ يسوقانِ العقلَ والنفسَ إلى ما سبقَ مِنَ التقديرِ الناشىءِ عنْ علمِ التدبيرِ، وكانَ حكميْ في هذيْن الفريقينِ أنَّ مَنْ غلبَ عقلُه على هَوَاهُ فَهُوَ مِنَ الناجينَ، وَمَنْ غَلَبَ هواهُ على عَقْلِهِ فهوَ مِنَ الهالكينَ وهذَا ما اشتملَ عليهِ قولُه تعالَى: ﴿إنِّي أعْلَمُ ما لا تعلَمُونَ﴾[1].

ومما اشتملَ عليه ﴿إني أعْلَمُ ما لا تعلمونَ﴾[1] أنَّ اختلافَ الصنائعِ أولُ دليلٍ على قُدرةِ الصانعِ، ومما اشتملَ عليهِ ﴿إني أعْلَمُ ما لا تعلمونَ﴾[1] أني ركَّبتُ فيهمْ مِنَ الشهوةِ ما لو ركَّبْتُه فيكمْ لفعلتمُ فِعْلَهم أو لم تطيقُوا صَبْرَهم على أنَّهم قَدْ أحبُّوني محبةً بذلُوا فيها أبدانَهم للتمزيقِ،

(١) سورة البقرة: الآية ٣٠.

(٢) قلت: كلام ابن الحنبلي فيه نظر، أما كونهم خلقوا من نار فثابت مقطوع به، قال تعالى: ﴿والجَانَّ خلقناهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَّارِ السَّمُومِ﴾ [الحِجر: ٢٧].

وأما أنهم خلقوا من ظلمة النار فلا دليل عليه.

(٣) قلت: كلام ابن الحنبلي فيه نظر، لأن الثابت أن آدم عليه السلام خلق من طين فكيف يقال إنه خلق من نور وظلمة، ومثل هذه الأمور غيبية لا تعرف إلا بالوحي، وإن الله تعالى قال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسانَ مِنْ صَلْصَالٍ من حَمَإٍ مسنونٍ﴾ [الحجر: ٢٦].

[انظر تفسير ابن الجوزي «زاد المسير في علم التفسير» (٤/٣٩٧ - ٤٠٠)].

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه (٤/٢٢٩٤ رقم ٦٠/٢٩٩٦). عن عائشةَ قالت: قال رسولُ اللّهِ ﷺ: «خُلِقتِ الملائكةُ من نُورٍ، وَخُلِقَ الجانُّ من مارجٍ من نارٍ، وخُلِقَ آدم ممَّا وُصِفَ لكُمْ».

ودمـاءَهم لـلإراقـةِ، وأرواحَهم للذهـاب، ومنهمُ الصـابـرونَ على أنـواعِ المكارهِ، والصائمونَ في الهواجرِ، والعابدونَ على ضعفِ القُوى، والناهونَ نفوسَهم مع قـوةِ الْهَوى، ويـرونَ ذلكَ المـرّ حلواً في رضائي، وتسليمـاً لقضَائي وقَدَرِي، يسابِقُ كلُّ وليٍّ مِنْهم بالعبادةِ أجَلَهُ، يؤتونَ ما أُتُوا وقلوبُهم وَجِلَةٌ، فظهرتْ حكمةُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ في خَلْقِهم، ورجحتْ حجَّةُ اللَّهِ سبحانَه على الملائكةِ في قَدْحِهِم[1].

فأمَّا إبليسُ فهوَ أولُ مَنْ أظهرَ الخـلافَ وركبَ العنادَ وسـارَ بهِ في البلاد. والفرقُ بينَه وبينَ الملائكةِ أنَّ الملائكةَ لم يظهرْ منْهم خلافٌ ولا عصيانٌ، بل طَلَبُوا بِسُؤَالِهِمُ الإيضاحَ والبيانَ. وإبليسُ أفتىٰ ودلَّ في مسألتهِ فانقطعَ في مجادلتهِ وخسرَ في كَرَّتِهِ وبيانِ فسادِ تعليله، وإزاغتهِ عنِ الصوابِ في تأويلهِ. أنهُ قالَ: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[2] ومعناهُ: أنَّ النارَ جوهرٌ لطيفٌ شفَّافٌ لهُ قوةُ الإشراقِ وسلطانُ الإحراقِ، والطينُ جسمٌ مظلمٌ كثيفٌ، ليسَ باللطيفِ ولا الخفيفِ.

والسجـودُ خدمـةٌ يتضمنُ تعظيمَ المسجـودِ لـهُ والأَوْلَى بهـا الأَعْلَى مِنْهما، هذا مُنْتَهَى كلامهِ ومضمونُ قولهِ وهوَ مردودٌ عليهِ مِنْ وجوهٍ:

(منها): أنه عـارضَ النصَّ بالقيـاسِ وهوَ فسـادٌ في الاعتبارِ وعـدم استبصارٍ؛ لأنَّ العملَ بالنصِّ مقدَّمٌ على القياسِ ؛ لأنَّ سهامَ القياسِ تصيبُ مرةً وتخطىءُ أُخرى. وكلامُ المعصومِ المنزَّهِ عنِ الغلطِ والزَّلَلِ لا يخطىءُ.

(ومنْهـا): أنَّ الماءَ والتـرابَ والهواءَ والنـارَ أصولُ الأجسـامِ وموادُّ

---

(١) يشير المؤلف رحمه الله بقدح الملائكة هنا ما ذكروه عن استخلاف آدم وذريته في الأرض وأنهم سيفسدون فيها، ويسفكون الدماء، ولا يُعقل أنهم يقدحون في حكمة الله وتدبيره سبحانه.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٢.

المركباتِ، فلا يقومُ جسمٌ إلَّا باجتماعِها، وإذا كانتْ متكافئةً في التأثيرِ فاختصاصُ أحدِها بالأفضليةِ لا دليلَ عليهِ.

(ومنْها): أنَّ الطينَ اشتملَ على أصليْنِ مِنَ الأصولِ الأربعةِ وهما: الماءُ والترابُ، فكيفَ يكونُ أصلُ واحدٍ خيراً مِنْ أصلينِ متكافئينِ. وعلَى تقديرِ تسليمِ التفاضلِ فالماءُ أفضلُ؛ لأنَّ سلطانَهُ يقهرُ سلطانَ النارِ إذا التَقَيا.

(ومنْها): على تقديرِ صحةِ قياسِه فالترجيحُ للسجودِ مِنْ وجهينِ:

(أحدُهما): أنَّ مصلحةَ امتثالِ الأمرِ راجحةٌ على الامتناعِ؛ لأنَّ امتثالَ الأمرِ آمنٌ مِنَ العقابِ المرتَّبِ على المخالفة.

(الوجهُ الثاني): أنَّ الامتناعَ منَ السجودِ بهَذا التعليلِ المذكورِ مِنْ جهتهِ يلزمُ مِنْهُ تخطئةُ الأمرِ ونسبتُه إلى وضعِ الشيءِ في غيرِ موضِعِهِ، وذلكَ في غايةِ الجنايةِ علَى الإلهِ الحكيمِ. وقدْ قالَ بعضُ المتكلمينَ: إنَّ كلَّ شبهةٍ وقعتْ في المللِ فأصلُها مِنْ شبهتي إبليسَ. قالَ المصنفُ: بَلْ هيَ شبهةٌ واحدةٌ مطردةٌ في كلِّ مذهبٍ فاسدٍ وقَدْ ذكرْنا ذلكَ في كتابِ البروقِ.

وأما الحجةُ فهيَ عبارةٌ عَن دليلِ الدَّعْوَى وقَدْ تُطْلَقُ على الشبهةِ أيضاً؛ لأنَّها مستندُ المخالفةِ. قالَ اللَّهُ تعالَى: ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾(١)، وقالَ تعالَى: ﴿لِئَلَّا يكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾(٢)، وقولُه تعالَى: ﴿فللَّهِ الحجةُ البالغةُ﴾(٣) أي الدليلُ القاطعُ الذي لا يعارضُه معارضٌ، وذلكَ قولُه تعالَى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتيناهَا إبراهيمَ

(١) سورة الشورى: الآية ١٦.

(٢) سورة النساء: الآية ١٦٥.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٤٩.

عَلَى قومِهِ﴾(1)، وقَدْ قيلَ في قولِهِ تعالَى إخباراً عَنْ إبليسَ ﴿ومَا كانَ لي عليكُم مِنْ سُلْطَانٍ﴾(2) أيْ حجةٍ(3) وإنما غرَّهم بالشبهةِ فالحجةُ حقيقةٌ في الدليلِ مجازٌ في الشبهةِ.

---

(1) سورة الأنعام: الآية ٨٣.

(2) سورة إبراهيم: الآية ٢٢.

(3) قال ابن الجوزي في تفسيره «زاد المسير» (٤/٣٥٧): «وما كان ليَ عليكم من سلطان» أي: ما أظهرت لكم حُجَّـةً على ما ادَّعيت. وقال بعضهم: «ما كنت أملككم فأكرهكم».

(الباب الثالث)
[في جدال الأنبياء عليهم السلام للأمم]

في جدالِ الأنبياءِ عليهمُ الصلاةُ والسلامُ للأممِ أولهمْ:

جدال نُوحٍ عليهِ السلامُ(1): قالَ: ﴿استغفِرُوا رَبَّكُم إنَّه كانَ غفاراً. يرسلِ السماءَ عليكُم مدراراً. ويمددكم بأموالٍ وبنينَ ويجعلْ لكُم جناتٍ ويجعلْ لكم أنْهاراً. ما لكُم لا ترجونَ للَّهِ وقاراً. وقد خلقكُمْ أطواراً. ألَمْ تَروا كيفَ خلقَ اللَّهُ سبعَ سمواتٍ طباقاً. وجعلَ القَمر فيهنَّ نوراً وَجَعَلَ الشمسَ سِرَاجاً. و اللَّهُ أنبَتَكُم مِنَ الأرضِ نباتاً .ثم يُعيدُكم فيها ويخرِجُكُم إخراجاً. واللَّهُ جَعَلَ لكُم الأرضَ بِسَاطاً لِتَسلكُوا منها سُبُلاً فِجاجاً﴾(2)، وقالَ تعالىَ: ﴿ولقدْ أرسلْنَا نوحاً إلى قومِهِ إني لكُم نذيرٌ مبينٌ. أن لا تعبُدُوا إلاَّ اللَّهَ إني أخَافُ عليكُم عَذَابَ يومٍ أليم. فقالَ الملأُ الذينَ كفرُوا مِنْ

---

(1) قلت: يُراد من كلام المؤلف رحمه الله أن نوحاً عليه السلام أول الأنبياء وهو كذلك.

للحديث الذي أخرجه البخاري (٦/٣٧١ رقم ٣٣٤٠) ومسلم (١/١٨٤ رقم ٣٢٧/١٩٤) والترمذي (٤/٦٢٢ رقم ٢٤٣٤) وقال: حديث حسن صحيح. وأحمد (٢/٤٣٥) وابن خزيمة في كتاب التوحيد (ص٢٤٢ ـ ٢٤٤) وأبو عوانة (١/١٧٠ ـ ١٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:

وفيه: «فيقولون: يا نوحُ! أنتَ أولُ الرُسُلِ إلى الأرضِ، وسماكَ اللَّهُ عبداً شكوراً. اشفع لنا إلى ربك...».

(2) سورة نوح: الآيات ١٠ ـ ٢٠.

قومِهِ ما نراكَ إلا بَشَراً مِثْلَنَا وما نَرَاكَ اتَّبعكَ إلاَّ الذينَ هُمْ أراذِلُنَا باديَ الرأي وما نَرَى لكُم عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُم كاذبين﴾[1] أجابَهُم نوحٌ عليهِ السلامُ بالحجةِ العظْمَى فقالَ: ﴿يا قومِ أرأيتُم إنْ كنتُ على بيِّنةٍ من ربِّي﴾[2] إلى هُنَا هِيَ الحجةُ العُظْمَى، وهذهِ الحجةُ العظْمَى هيَ التي أضافَها اللَّهُ عزَّ وجلَّ إلى نفسِهِ في قولِهِ: ﴿وتلكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إبراهيمَ على قومِهِ﴾[3] وقد أشْبعنا القولَ فيها في كتابِ الحجةِ العظمى[4]. ﴿قالوا يَا نوحُ قد جادلْتَنَا فأكثرتَ جدالَنَا فأتِنا بِمَا تَعِدُنَا إنْ كُنْتَ مِنَ الصادِقين﴾[5].

جدالُ إبراهيمَ **وحجاجُهُ** ولهُ ثلاثة مقاماتٍ «الأول»: مع نفسه. «الثاني»: مع أبيه. «الثالث»: معَ نمرودٍ وقومِهِ. **(الأول)**: رَأَى كوكباً قالَ هذا ربِّي إلى آخرِ القصةِ[6]. وجهُ استدلاله أنهُ رَأى إنارةَ الكوكبِ وحُسْنَهُ وعُلُوَّ مكانِهِ ولم يَرَ قبلَه مثلَه، فقالَ: هذَا رَبِّي، بناءً على أنَّ الربَّ لا يَنْبَغي أنْ يكونَ له مِثْلٌ، فلما أَفَلَ أدركَ نَقْصَهُ وعَيْبَهُ؛ لأنَّ الأفول تغيرٌ، والتغيرُ حدوثٌ والكاملُ لا يجوزُ عليهِ الحدوثُ؛ لأنهُ صانعُ الحدوث وطردُ القياسِ في الإثباتِ والنفي على باقي الكواكبِ بالاعتبارِ الأولِ، ومنْ حيثُ علمَ أنَّها مكوَّنةٌ مصنوعةٌ علمَ أنها لا بدَّ لها مِنْ صانعٍ هوَ أكملُ منْها فقالَ:

---

(١) سورة هود: الآيات ٢٥ ـ ٢٧.

(٢) سورة هود: الآية ٢٨.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٨٣.

(٤) لم أرَ ذكراً لهذا الكتاب في الكتب التي ترجمت للمؤلف.

(٥) سورة هود: الآية ٣٢.

(٦) يشير المؤلف رحمه الله إلى قوله تعالى في سورة الأنعام: الآيات ٧٦ ـ ٧٨: ﴿فلمَّا جَنَّ عليهِ الليلُ رأى كوكباً قالَ: هذا ربي، فلما أفَلَ قال: لا أُحِبُّ الآفلين. فلما رأى القمرَ بازغاً قال هذا ربي فلمَّا أفلَ قالَ لَئِنْ لم يهدِنِي ربي لأكونَنَّ من القومِ الضالين. فلما رأى الشمسَ بازغةً قال هذا ربي هذا أكبَرُ فلما أفَلَتْ قالَ يا قومِ إني بريءٌ مما تشركون﴾.

﴿وَجَّهْتُ وَجهيَ للذي فَطَرَ السمواتِ والأرضَ﴾[1] ليدخلَ في ذلكَ الكواكبَ التي اعترضَتْهُ في طريقِ الاستدلالِ[2].

(المقام الثاني مع أبيه): قالَ اللَّهُ تعالى: ﴿وَاذْكُر في الكتابِ إبراهيمَ إنَّهُ كان صدِّيقاً نبياً. إذ قالَ لأبيهِ يا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَالا يسمعُ ولا يُبْصِرُ ولا يُغْنِي عنكَ شيئاً. يا أبتِ إنِّي قَدْ جاءني مِنَ العلمِ ما لم يأتِك فاتَّبِعْني أهدِكَ صراطاً سَوِيّاً. يا أبتِ لا تعبدِ الشيطانَ إنَّ الشيطانَ كان للرحمٰنِ عَصِيًّا. يا أبتِ إني أخافُ أنْ يَمسَّكَ عذابٌ مِنَ الرحمٰنِ فتكونَ للشيطانِ وَلِيّاً. قالَ أراغِبٌ أنتَ عَنْ آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنتهِ لأرجُمَنَّكَ واهجُرني مَلِيّاً﴾[3]. فكانَ جوابُ أبيهِ جوابَ جاهلٍ، لأنهُ قابَلَهُ على نُصْحِهِ لهُ بالرجْمِ والهجْرِ أشْبَهَ جوابَ قومِهِ، وما كانَ جوابَ قومِهِ إلا أنْ ﴿قالُوا حَرِّقُوهُ وانصُروا آلهتكم﴾[4].

(المقامُ الثالثُ): معَ النمرودِ وقومِهِ وهوَ قولُهُ تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إلى

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٧٩.

(٢) قلت: ظاهر كلام المؤلف رحمه الله أن إبراهيم عليه السلام كان في كلامه هذا ناظراً ولم يكن مناظراً.

والصحيح أنه كان مناظراً ليهدم معتقدات قومه في الكواكب التي يعبدونها من دون الله كما رجحه الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢/١٥٦).

وكذلك لا يجوز لمؤمن أن يعتقد أن إبراهيم عليه السلام لم يعرف ربه حتى قال بأن الكوكب ربه، كيف وقد امتن الله على إبراهيم عليه السلام بأمور عظيمة:

(منها): أنه آتاه رشده كما قال تعالى: ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين﴾ [الأنبياء: ٥١].

(ومنها): أنه آتاه الحجة العظمى على قومه: ﴿وتلكَ حُجَّتُنَا آتيناها إبراهيمَ على قومِهِ...﴾ [الأنعام: ٨٣].

(ومنها): أنه مدح إبراهيم بأنه ﴿وَلَمْ يَكُ من المشركين﴾ [النحل: ١٢٠].

(٣) سورة مريم: الآيات ٤١ ـ ٤٦.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٦٨.

الذي حاجَّ إبراهيمَ في رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الملكَ إذْ قَالَ إبراهيمُ رَبِّيَ الذي يُحيي ويميتُ قالَ أنا أحيي وأميتُ قالَ إبراهيمُ فإنَّ اللَّه يأتي بالشمسِ مِنَ المشْرِقِ فأتِ بها من المغْربِ فَبُهِتَ الذي كَفَرَ واللَّهُ لا يهدي القومَ الظالمينَ﴾(١). فالصادرُ منْ خَصْمِهِ معارضةٌ إلاأنَّها فاسدةٌ، لأنَّ حقيقةَ الإحياءِ والإماتةِ التي فسَّرها خصْمُهُ غيرُ الذي قَصدَهُ إبراهيمُ، فلا يخلُو حالُ نمرودٍ إمَّا أن يكونَ ما فهمَ حقيقةَ الإحياءِ والإماتة، أوْ فَهِمَ إلَّا أنهُ قصدَ المصادمةَ والمباهتة، وكلاهُما يوجب العدولَ إلى دليلٍ يفضحُ معارضَتَهُ ويقطعُ حجاجَهُ، ومتَى كانَ الخَصمُ بهذهِ الصفةِ جازَ لخصمِهِ الانتقالُ إلى دليلٍ آخرَ أقربَ إلى الفَهْمِ وأفلجَ لِلحجةِ، وسيأتي نظيرهُ في قصةِ موسى عليهِ السلامُ، قالَ اللَّهُ تعالَى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قالَ أتُحَاجونِّي في اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾(٢) وذكرَ الحجةَ العظْمَى فقالَ: ﴿وَكَيْفَ أَخافُ﴾ إلى قولِهِ: ﴿فأيُّ الفَرِيقَينِ أَحَقُّ بالأمْنِ﴾(٣) وقدْ شرحْنا هذا في كتابِ الحجةِ العظْمى. فإنْ قيلَ ما الحكمةُ أنهُ جادلَ الملكَ بالإحياءِ والإماتةِ والإتيانِ بالشمسِ مِنَ المشرقِ وكلِّ ذلكَ يمكِن دَعْوى المعارضةِ لهُ والكلامُ عليه، ولم يدْعُهُ بالحجةِ العظْمى وجادلَ قومَه بالحجةِ العظْمى، فالجوابُ أنَّ الملكَ كانَ يدَّعي الربوبيةَ، فلا يقالُ إنه لا يخلُو إما أنْ يكونَ لنا إلَه أو لا بخلافِ حالِ قومِهِ فإنَّهم لم يدَّعُوا ربوبيةً.

(جدال موسى عليه السلام) قالَ اللَّهُ سُبحانه: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَونَ فقولاَ إنَّا رسولُ رَبِّ العالمينَ﴾(٤) إلى أن قال سبحانه: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ العالمينَ. قالَ ربُّ السمواتِ والأرضِ وَمَا بينهُما إنْ كُنتم مُوقنينَ. قالَ

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٨.
(٢) سورة الأنعام: الآية ٨٠.
(٣) سورة الأنعام: الآية ٨١.
(٤) سورة الشعراء: الآية ١٦.

لمن حَوْلَهُ أَلَا تستمعُونَ. قالَ رَبُّكُم وربُّ آبائِكُمْ الأولينَ. قالَ إنَّ رسولَكُم الذي أُرْسِلَ إليكُم لمجنُونٌ. قالَ رَبُّ المشرقِ والمغربِ وَمَا بينهُمَا إنْ كنتم تعقِلُونَ. قالَ لَئِنِ اتخذْتَ إلهاً غَيْرِي لأجعلنَّكَ مِنَ المسجُونينَ. قالَ أَوَلَوْ جئتُكَ بشيءٍ مُبينٍ قالَ فأتِ بهِ إن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَألقى عَصَاهُ فإذا هيَ ثُعْبانٌ مبينٌ. ونَزَعَ يَدَهُ فإذا هيَ بَيْضَاءُ للناظرينَ﴾[1] والإشارةُ إلى وجْهِ الدلالةِ مِنْ ذلكَ أنَّ فرعونَ لما قالَ: ﴿وَمَا رَبُّ العالمينَ﴾[2] علمَ موسَى أنهُ سؤالٌ عنْ ماهيةِ ربِّ العالمينَ، وربُّ العالمينَ لا ماهيةَ لهُ[3]، لأنهُ الأولُ فلا شيءَ قبلَه فيكونُ منهُ، بلْ هوَ مكّونُ ما تتكونُ الأشياءُ منهُ، فلمْ يشتغلْ مُوسَى بردِّ سؤَالِهِ وبيانِ فسادِهِ، وكانَ المقصودُ تعريفَ الربِّ جلَّ وعَلَا بصفتِهِ فقالَ: ﴿رَبُّ السمٰواتِ والأرضِ وَمَا بينهما﴾[4] فحصرَ الكائناتِ في ثلاثِ كلماتٍ فلما قال: ﴿أَلَا تَستمعونَ. قالَ ربكُم وربّ آبائِكُم الأولينَ﴾[5] رداً على فرعونَ قولَه ﴿أنا ربُّكُم الأعلى﴾[6] فلمَّا قالَ: ﴿إنَّ رسولَكُم الذي أُرسِلَ إليكُم لمجنُون﴾[7] أردفَ ما ذُكِرَ بشاهديْنِ آخريْنِ فقالَ: ﴿رَبُّ

---

(١) سورة الشعراء: الآيات ٢٣ ـ ٣٢.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٢٣.

(٣) قلت: كلام المؤلف فيه نظر. حيث وصف الله تعالى بأنه لا ماهية له. فهذا كلام فلسفي لا يجوز الخوض فيه بغير علم، ولا علم لنا في مثل هذا إلا بما أخبر الله تعالى عن نفسه أو أخبر عنه رسوله ﷺ.

وخلاصة القول:

أن الله تعالى منزه عن مشابهة المخلوقين، وهو موصوف بصفات الكمال والجلال التي وصف الله بها نفسه أو وصفه بها رسوله ﷺ.

(٤) سورة الشعراء: الآية ٢٤.

(٥) سورة الشعراء: الآيتان ٢٥ ـ ٢٦.

(٦) سورة النازعات: الآية ٢٤.

(٧) سورة الشعراء: الآية ٢٧.

المشرقِ والمغربِ وَمَا بينَهما﴾[1]؛ لأنَّ المشرقَ والمغربَ آيتانِ عظيمتانِ لا يقدرُ فرعونُ علَى ادِّعائِهِمَا، فلمَّا اندحضتْ حُجَّتُهُ قالَ: ﴿لئنِ اتَّخَذْتَ إلهاً غَيْرِي لأجعلنَّكَ مِنَ المسجُونينَ. قالَ أَوَ لَوْ جئتُكَ بشيءٍ مُبينٍ. قالَ فأتِ بهِ إنْ كنتَ من الصادِقينَ فألقى عَصَاهُ فإذا هي ثُعبانٌ مبينٌ ونزعَ يَدَهُ فإذا هيَ بيضاءُ للناظرينَ﴾[2] آيتانِ عظيمتانِ في انقلابِ أعيانِهِمَا، وإنَّما كانتِ الآيةُ في العَصَا؛ لأنَّها أنزلتْ على آدمَ بسببِ الكلبِ لما نَبَحَ عليهِ[3] لما تعاظمتْ دَعْوَى فرعونَ قُوْبِلَ بها إهانةً لهُ واستحقاراً، وكونُها ظهرتْ في صورةِ ثعبانٍ مناسبٍ لحالهِ؛ لأنَّ مسَّها لينٌ وفعلَها قاتلٌ. وفرعونُ بإظهارِ كرمِهِ وعدْلِهِ لَيِّنٌ وفعلُهُ قاتلٌ لنفسِهِ وغيرِهِ. فأما يدُهُ البيضاءُ فالإشارةُ فيها جِئْتُكَ بالشرعِ النَّيِّرِ الأبيضِ الذي لا ظلمةَ فيـهِ، كما قالَ رسولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليـهِ وسلَّمَ: «جئتُكم بهـا بيضاءَ نقيـةً»[4] ولما كـانتْ آيةُ مـوسى عليهِ السـلامُ حِسِّيَّةً، ومعجزاتُهُ مرئيةً لم يخاطبْهُمْ بالحجَّةِ العظْمَى؛ لأنها عقليةٌ، ولما همُّوا بِقَتْلِهِ ألهمَ اللَّهُ سبحانَهُ مؤمنَ آلِ فرعونَ الحجَّة العظْمى فقالَ: ﴿أتقتلونَ رجلاً أنْ يقولَ رَبِّيَ اللَّهُ وقَدْ جاءَكُمْ بالبيناتِ من رَبِّكُم وإنْ يَكُ كاذباً فعليهِ كَذِبُهُ وَإنْ يَكُ صادِقاً يُصِبْكُمْ بعضُ الذي يعدُكُم﴾[5] وقد شرحْنا ذلكَ في كتابِ الحجةِ العظْمى.

وأما جدالُ رسـول اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ لكفـارِ قريشٍ واليهـودِ فسيأتي في ذكرِ الأدلةِ الدالةِ على صِدْقِ رِسالتِهِ[6].

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٢٨.

(٢) سورة الشعراء: الآيات ٢٩ ـ ٣٣.

(٣) قلت: لا دليل على هذا الكلام.

(٤) وهو جزء من حديث أخرجه أحمد في المسنـد (٣/٣٨٧) وابن أبي شيبة والبزار ـ كما في فتح الباري (١٣/٣٣٤) ـ من حديث جابر.

وقال ابن حجر: «ورجاله موثقون إلا أن في مجالد ضعفاً».

(٥) سورة غافر: الآية ٢٨.

(٦) انظر الباب السابع من هذا الكتاب.

فمستقرٌ ومستودعٌ قد فصَّلْنَا الآياتِ لقومٍ يَفْقَهونَ﴾(١)، وقالَ تعالَى: ﴿هوَ الذي يُسيركُم في البَرِّ والبحْرِ حتَّى إذَا كنتُم في الْفُلْكِ وَجَرْينَ بهِمْ بريحٍ طيبةٍ وفرِحُوا بها جاءَتْهَا رِيحٌ عاصِفٌ وجاءَهُمُ الموجُ من كُلِّ مكانٍ وظَنُّوا أنَّهم أحيطَ بهمْ دَعَوُا اللَّهَ مخلصينَ لَهُ الدينَ لئنْ أنجيتَنَا مِنْ هذِهِ لنكُونَنَّ مِنَ الشاكرينَ﴾(٢)، وقالَ تعالى: ﴿وَإذا مسَّكُم الضُّرُّ في البحرِ ضلَّ مَنْ تدعونَ إلا إيَّاهُ﴾(٣)، وقالَ تعالَى: ﴿وَآيةٌ لهمُ الأرضُ الميتةُ أحييناهَا وأخرجْنَا مِنْها حَبًّاً فمنهُ يأكلُونَ. وجعلْنَا فيهَا جناتٍ مِنْ نخيلٍ وأعنَابٍ وفجـرنَا فيهـا مِنَ العيونِ. ليأكلوا مِنْ ثمرِهِ وما عملَتْهُ أيديْهِمْ أفلاَ يشكرونَ سبحانَ الذي خلقَ الأَزواجَ كلَّها مما تنبتُ الأرضُ ومنْ أنفسِهِم وممَّا لا يعلمونَ. وآيـةٌ لهمْ الليلُ نسلخُ منه النهارَ. فإذَا هم مظلمونَ. والشمسُ تجري لمستقرٍّ لها ذلِكَ تقديرُ العزيزِ العليمِ. والقمرَ قدرنَاهُ منازِلَ حتَّى عادَ كالعرجونِ. القديم لا الشمسُ ينبغي لها أن تدرِكَ القمرَ ولا الليلُ سـابقُ النهارِ وكـلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحُونَ. وآيةٌ لهم أنَّا حملْنا ذريتَّهم في الفلكِ المشحونِ وخلقْنَا لهمْ مِنْ مثلِهِ ما يركبونَ. وإن نَشأ نُغْرِقْهُمْ فلا صريخَ لهمْ ولا هُم يُنْقَذُونَ. إلا رحمةً مِنَّا ومتاعاً إلى حينٍ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿أوَ لم يَرَوا أنَّـا خلقْنا لهمْ ممَّـا عمِلَتْ أيدينَا أنعـامَاً فهم لهـا مَالِكُـونَ وذللناهَـا لَهُمْ فمنهَا رَكُـوبهمْ وَمِنْهَا يأكلونَ. ولهم فيها منافعُ ومشارِبُ أفلا يشكرونَ﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿أفرأيتُم ما تمنونَ. أأنتُم تَخْلُقُونَهُ أم نحنُ الخالِقُونَ﴾(٦)، وقـالَ تعالَى: ﴿أفـرأيتُم الماءَ الذي تشربُونَ. أأنتُمْ أنزلتُموهُ مِنَ المزنِ أمْ نحنُ المنزلون﴾(٧)، وقال:

(١) سورة الأنعام: الآيات ٩٥ ـ ٩٨.
(٢) سورة يونس: الآية ٢٢.
(٣) سورة الإسراء: الآية ٦٧.
(٤) سورة يّس: الآيات ٣٣ ـ ٤٤.
(٥) سورة يّس: الآيات ٧١ ـ ٧٣.
(٦) سورة الواقعة: الآيتان ٥٨ ـ ٥٩.
(٧) سورة الواقعة: الآيتان ٦٨ ـ ٦٩.

﴿أفرأيتم النَّارَ التي تُورُونَ. أأنتُم أنشأتُمْ شجرَتَها أم نحنُ المنشئون﴾(١)، وقالَ تعالَى: ﴿وَلَقَدْ خلقنَا الإنسانَ مِنْ سُلاَلةٍ مِن طينٍ. ثم جعلناهُ نطفةً في قرارٍ مَكينٍ. ثم خلقنَا النطفة علقةً﴾ إلى قوله: ﴿فتبارَكَ اللَّهُ أحسنُ الخالقين﴾(٢)، وقالَ تعالَى: ﴿فلينظرِ الإنسانُ إلى طعامِهِ أنَّا صَبَبْنَا الماءَ صبًّا ثم شققنَا الأرض شقًّا﴾ إلى قولِهِ: ﴿متاعاً لَكُمْ ولأنعامِكُمْ﴾(٣)، فوجْهُ الدلالةِ مِنْ هذهِ الآياتِ جليٌّ لِمَنْ سبقتْ لهُ السعاداتُ. قالَ تعالَى: ﴿انظرْ كيفَ نصرِّفُ الآياتِ﴾(٤) وقدْ مدحَ اللَّهُ تعالَى قوماً أدتْهُم الفِكَرُ إلى معرفةِ العِبَرِ. قالَ سبحانَهُ وتعالَى: ﴿ويتفكرونَ في خلقِ السمٰواتِ والأرضِ ربَّنَا ما خلقتَ هذا باطلاً سبحانَكَ فقِنَا عذابَ النَّارِ﴾(٥)

(فصل): وقد حصلتْ معرفةُ اللَّهِ سبحانَهُ لقوم مخصوصينَ منْ طريق آخر مخصوصٍ وهمُ الملائكةُ وما جَرَى لهمْ منْ سؤالٍ وجوابٍ. وفي قصةِ إبليسَ كفايةٌ لهُ عنِ التنويعِ فيما يقيسُ والتجنيس، وحصلَ العلمُ اليقينيُّ لآدمَ فيما حدثَ مِنْ أمرِهِ وتقادَمَ فاستسلمَ وسالَمَ.

والأنبياءُ مائةُ ألفِ نبيٍّ وأربعةٌ وعشرونَ ألفِ نبيٍّ(٦) الكلُّ عرفُوا

---

(١) سورة الواقعة: الآيتان ٧١ - ٧٢.

(٢) سورة المؤمنون: الآيات ١٢ - ١٤.

(٣) سورة عبس: الآيات ٢٤ - ٣٢.

(٤) سورة الأنعام: الآية ٦٥.

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٩١.

(٦) **قلت**: أخرج أحمد في المسند (٥/٢٦٦) من حديث أبي أمامة أن أبا ذر رضي الله عنه قال: «قلت: يا رسول الله كم وفّى عدة الأنبياء. قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً. الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جماً غفيراً» وإسناده صحيح.

● **قلت**: وهذا العدد الكبير للأنبياء والرسل يدلنا على أنَّ الذين تعرف أسماؤهم من الرسل والأنبياء قليل. وأن هناك أعداداً كثيرة لا نعرفها، وقد صرَّح القرآن بذلك في أكثر من موضع، قال تعالى: ﴿ورسُلاً قد قصصناهم عليك من قبلُ، ورسُلاً لم =

(الباب الرابع)
[في ذكر الأدلة على وجود الصانع سبحانه]

في ذكر الأدلة على وجود الصانع سبحانه:

اعلمْ أنها لا تُحْصَى لأن كلَّ موجودٍ عنْ عدمٍ فهوَ دليلٌ على وجودِ موجِدٍ كما قالَ سبحانَهُ: ﴿وَإِنْ مِنْ شيءٍ إلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾(1) وذلكَ التسبيحُ إذعانٌ لموجِدِهِ وعبادةٌ لربِّهِ كما قيلَ:

وفي كلِّ شيءٍ لهُ آيةٌ   تدلُّ على أنهُ الواحدُ(2)

فأمَّا أدلةُ الكتابِ العزيزِ فمنْها قولُهُ تعالَى: ﴿أفلَا يَنْظُرُونَ إلى الإبلِ كيفَ خُلِقَتْ. وإلى السَّمَاءِ كيفَ رُفِعَتْ. وإلى الجبالِ كيفَ نُصِبَتْ. وإلى الأرضِ كيفَ سُطِحَتْ. فَذَكِّرْ إنما أنتَ مُذَكِّرٌ﴾(3)، وقالَ تعالَى: ﴿ألم نجعَلِ الأرضَ مِهاداً. والجبالَ أوْتَاداً. وَخَلَقْنَاكُمْ أزواجاً. وجعلْنَا نومَكُمْ سُبَاتاً. وجعلْنا الليلَ لباساً. وجعلْنَا النهارَ معاشاً. وَبَنَيْنا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً. وجعلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً. وأنزلْنَا من المعصِرَاتِ مَاءً ثجاجاً. لِنُخرجَ بِهِ حَبّاً ونباتاً. وجَنَّاتٍ ألفافاً﴾(4) وصرفَ سبحانَه هذهِ الكلماتِ في كتابِهِ العزيزِ وصرفُ هذهِ الأدلةِ منها الدلالةُ على وجودِهِ وقدرتِهِ وحكْمتِهِ، وأنهُ لا مشاركَ

---

(1) سورة الإسراء: الآية ٤٤.

(2) البيت من ديوان أبي العتاهية ص١٢٢.

(3) سورة الغاشية: الآيات ١٧ ـ ٢١.

(4) سورة النبأ: الآيات ٦ ـ ١٦.

له ولا معاضدَ ولا مغالبَ فقالَ: ﴿أأنتُمْ أشدُّ خلقاً أمِ السَّماءُ بناهَا. رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا. وأغْطَشَ لَيْلَها وأخرَجَ ضُحَاهَا. والأرضَ بعدَ ذلكَ دحاهَا. أخرجَ منها ماءَهَا ومرعَاهَا. والجبالَ أرسَاهَا. متاعاً لكم ولأنعامِكم﴾[1]، وقالَ تعالَى: ﴿وهوَ الذي مَدَّ الأرضَ وجعلَ فيها رواسِيَ وأنْهاراً ومِنْ كُلِّ الثمراتِ جعلَ فيها زوجَيْنِ اثنينِ يُغْشي الليلَ النهارَ إنَّ في ذلكَ لآياتٍ لقومٍ يتفكرونَ. وفي الأرضِ قِطَعٌ متجاوراتٌ وجناتٌ مِنْ أعنابٍ وزرعٌ ونخيلٌ صنوانٌ وغيرُ صِنوانٍ يُسقى بماءٍ واحدٍ ونفضِّلُ بعضَها على بعضٍ في الأُكُلِ إنَّ في ذلكَ لآياتٍ لقومٍ يعقلونَ﴾[2]، وقالَ تعالَى: ﴿إنَّ في خلقِ السمواتِ والأرضِ واختلافِ الليلِ والنهارِ والفُلْكِ التي تَجْرِي في البحْرِ بما ينفعُ النَّاسَ وما أنزلَ اللَّهُ مِنَ السماءِ من ماءٍ فأحيا بِهِ الأرضَ بعدَ موتِهَا وبثَّ فيها من كُلِّ دابةٍ وتصريفِ الرياحِ والسحاب المسخَّرِ بينَ السماءِ والأرضِ لآياتٍ لقومٍ يعقلونَ﴾[3]، وقالَ تعالَى: ﴿هوَ الذي جعلَ الشمسَ ضياءً والقمرَ نوراً وقَدَّرَهُ منازلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السنينَ والحسابَ ما خلقَ اللَّه ذلكَ إلاَّ بالحقِّ يُفصِّلُ الآياتِ لقومٍ يعلمون﴾[4]، وقالَ تعالَى: ﴿تُولِجُ الليلَ في النَّهارِ وتولِجُ النَّهارَ في الليلِ وَتُخْرِجُ الحيَّ من الميتِ وتُخرِجُ الميتَ مِنَ الحيِّ وترزُقُ مَنْ تشاءُ بغيرِ حسابٍ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿إنَّ اللَّهَ فالقُ الحبِّ والنَّوى يُخرِجُ الحيَّ مِنَ الميتِ ومخرجُ الميتِ مِنَ الحيِّ ذلكمُ اللَّهُ فأنَّى تُؤفكونَ فالِقُ الإصباحِ وجَعَلَ الليلُ سكَناً والشمسَ والقمرَ حُسباناً ذلكَ تقديرُ العزيزِ العليمِ وهوَ الذي جعلَ لكُم النجومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا في ظُلُماتِ البَرِّ والبحرِ قدْ فصَّلْنَا الآياتِ لقومٍ يعلمون وهوَ الذي أنشأَكُم مِنْ نفسٍ واحدةٍ

---

(١) سورة النازعات: الآيات ٢٧ ـ ٣٣.
(٢) سورة الرعد: الآيتان ٣ ـ ٤.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٦٤.
(٤) سورة يونس: الآية ٥.
(٥) سورة آل عمران: الآية ٢٧.

الصانعَ معرفةَ اليقينِ، مِنْهُمُ المرسلونَ ثلثمائةٍ وثلاثـةَ عشرَ[1] أغْنَى عيـانُ الآياتِ عندَهم عنِ الخبرِ، ففي نوحٍ ودعوتِهِ ونجاةِ أهلِ سفينتِهِ[2]، وفي إبراهيمَ ونارِهِ[3] وحياةِ أطيارِهِ[4]، ويوسفَ وبراءتِهِ بشهادةِ غلامِهِ وإجابتِهِ في قضاء حاجاتِهِ[5] وإهلاكِ عدوِّهِ مِنْ جميعِ جهاتِهِ، ويونسَ وحوتِهِ[6]، وزكريًّا

نقصصهم عليكَ﴾ [النساء: ١٦٤]. وقال تعالى: ﴿ولقد أرسلْنَا رسُلاً من قبلك، منهم من قصصنا عليك، ومنهم من لم نقصص عليك﴾ [غافر: ٧٨].

(١) لم أعثر على نص في ذلك العدد.

إلا أن صاحب مشكاة المصابيح (١٥٩٩/٣ رقم ٤٠/٥٧٣٧) أورد من حديث أبي ذر رضي الله عنه، كم المرسلون؟ قال: «ثلاثمائة وبضعةَ عشر جماً غفيراً».

وقال علي القاري في «مرقاة المفاتيح» (٣٥٦/٥): «أبهم العـدد إشعاراً بعـدم الجزم كيلا يزيد أو ينقص في الحد؛ (جماً غفيراً) أي جمعاً كثيراً. وفي النهاية: أي مجتمعين كثيرين، وأصل الكلمة من الجموم والجمة وهو الاجتماع والكثرة، والغفير من الغفر وهو التغطية والستر فجعلت الكلمتان في موضع الشمول والإحاطة..». ا.هـ.

(٢) يشير المؤلف رحمه الله إلى قوله تعـالى في سورة العنكبـوت: الآية ١٥: ﴿فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين﴾.

(٣) يشير المؤلف رحمه الله إلى قوله تعالى في سورة الأنبياء: الآية ٦٩: «قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾.

(٤) يشير المؤلف رحمه الله إلى قوله تعالى في سورة البقرة: الآية ٢٦٠: ﴿وإذ قال إبراهيم ربِّ أرني كيف تحيي الموتى، قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم﴾.

(٥) يشير المؤلف رحمه الله إلى قوله تعالى في سورة يوسف: الآيتان ٢٦ ـ ٢٧: ﴿.. وشهدَ شاهدٌ من أهلِهَا إن كان قميصُهُ قُدَّ من قبلٍ فصدقت وهو من الكاذبين. وإن كان قميصهُ قُدَّ من دُبُرٍ فكذبت وهو من الصادقين﴾ إلى آخر الآيات.

(٦) يشير المؤلف رحمه الله إلى قوله تعالى في سورة الصافات: الآيات ١٤٢ ـ ١٤٤: ﴿.. فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾.

وسكوتِهِ[1]، ومريمَ وابنِها[2]، آياتٌ بيناتٌ، ويتبعُ هذا الجمعُ جمعٌ لا تُحَدُّ لهمْ كثرةٌ كلُّهم أخبرَ عنْ وجودِ إلهٍ واحدٍ قادرٍ مريدٍ عالمٍ حيٍّ.

والأنبياءُ وأتباعُهم هم حججُ الخلْقِ وعلماؤهم وأعيانُ العلماءِ ونبلاؤهم. ولوْ لم يكنْ هناكَ دليلٌ على وجودِ الإله سِوَى اتفاقِهِمْ على وجودِهِ بالصفاتِ المذكورةِ كانَ ذلكَ كافياً في حصولِ العلمِ واليقينِ بخبرِهِم إذْ كانُوا جميعاً لا يُتَصَوَّرُ التواطؤُ منْهم على الكذبِ واللَّهُ الهادي بفضلِهِ.

---

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى قوله تعالى في سورة مريم: الآيات ٧ ـ ١٠: ﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا..﴾ إلى قوله: ﴿قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا..﴾.

(٢) يشير المؤلف رحمه الله إلى قصة عيسى بن مريم وأنه وُجِدَ من أم بلا أب وفي هذا خرق للعادة يدل على قدرة الله تعالى وبديع صنعه. والقصة وردت في مواضع متعددة من القرآن منها سورة مريم: الآيات ١٦ ـ ٣٤.

(الباب الخامس)
[في ذكر الأدلة على أنه واحدٌ سبحانه]

ذِكرُ الأدلةِ على أنهُ واحدٌ سبحانَه. ومنْ حيثُ ثبتَ أنهُ موجودٌ بصفةِ الوجوبِ ثبتَ أنهُ واحدٌ؛ لأنَّ الصنعةَ مفتقرةٌ إلى الصانع وليستْ مفتقرةً إلى ما زادَ على الصانعِ ، فصارَ وجودُ ما زادَ على الصنعةِ جائزاً والجائزُ الوجودِ لا يجوزُ أنْ يكونَ إلهاً مُبْدِعاً قديماً. وأما أدلةُ الكتابِ العزيزِ فكثيرةٌ، مِنْ ذلكَ قولُه تباركَ وتعالَى: ﴿لو كانَ فِيهِمَا آلهةٌ إلاَّ اللَّهُ لفسدَتَا﴾[1] وهذا الدليلُ معتمدُ أربابِ الكلامِ مِنْ أهلِ الإسلامِ ، وقدْ نُقِلَ عنْ بعضِ علماءِ السلفِ أنهُ قالَ: نظرتُ في سبعين كتاباً مِنْ كتبِ التوحيدِ فوجدتُ مدارَها على قولِهِ تعالَى: ﴿لو كانَ فيهما آلهةٌ إلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[1] دليلٌ آخرُ في سورةِ المؤمنينَ قولُهُ تعالَى: ﴿ما اتخذَ اللَّهُ مِنْ ولدٍ وما كان مَعَهُ من إلهٍ إذاً لذهبَ كُلُّ إلهٍ بما خلقَ ولعلاَ بعضُهُمْ على بعضٍ سبحانَ اللَّهِ عمَّا يصفُونَ﴾[2] وفي الكلامِ حذفٌ وتقديرُهُ ولو كانَ معهُ آلهةٌ وإنما حذفَ للإيجازِ. والإيجازُ مُسْتَحْسَنٌ في كلِّ مكانٍ وهَهُنَا أكملُ حُسْنَاً لئلاَّ يتكررُ ذكرُ الإلهِ؛ لأنهُ إبطالٌ على تقديرٍ، وإنَّما ذهبَ كلُّ إلهٍ بما خلقَ لأجلِ طلبِ الاستعلاءِ بالعلوِّ والقدرةِ، وذلكَ منشأُ المخالفةِ والمنافسةِ والتغالبِ، والمغلوبُ لا يكونُ إلهاً. «دليلٌ آخرُ» قولهُ سبحانَه: ﴿قُلْ لو كانَ معهُ آلهةٌ

(١) سورة الأنبياء: الآية ٢٢.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٩١.

كما يقولونَ إذاً لابتغَوا إلى ذي العرشِ سبيلاً﴾[1] ومعناهُ أنَّ الآلهةَ تطلبُ المنازعةَ والمخالفةَ في المرادِ فحينئذٍ يقعُ الفسادُ إذ يـريدُ احـدُهما حيـاةَ شخصٍ والآخرُ موتَه، أو إسعادَه والآخرُ إشقاءَه، فإنْ قيلَ الشبهةُ على هذهِ الأدلةِ مِنْ وجهينْ: (أحدُهما): يجوزُ أنْ يكونَ اثنانِ تتفقُ إرادتُهما فلا يقعُ خلافٌ فلا يقعُ فسادٌ. (الشبهةُ الثانيةُ): قالُوا لما رأيْنا وجودَ الشيءِ وضدَّهُ مِنَ الموتِ والحياةِ، والنورِ والظلمةِ، والخيرِ والشرِ، وما يقتضي الحكمة وينافيها مِنَ النقضِ بعدَ البناءِ والعجزِ بعدَ القوةِ، جاز أنْ ينسبَ إلى مدبريْنِ اثنينِ.

والجوابُ عنِ الشبهةِ الأولى: استحالةُ الإرادةِ وجود اثنين لا تنفكُّ ارادةُ أحدِهما عن إرادة الآخر متكافئيْنِ في العلم و القدرة والإرادةِ والحكمةِ والتدبيرِ على وجْهٍ لا تتقدمُ صفـةُ أحدِهمـا على صفةِ الآخـرَ في الأعيانِ والأذهانِ فإذا هما واحدٌ سمَّوْهُ اثنيْنِ.

والجوابُ عنِ الشبهةِ الثانيةِ: أنَّ صدورَ الشيءِ وضدَّه أدلُّ على قدرةِ الصانعِ، وقد نبَّهَ سبحانَه على ذلكَ في عدةِ مواضعَ مِنَ الكتابِ العزيزِ مِنْ ذلـكَ قولُـهُ تعالَى: ﴿تُسْقَى بمـاءٍ واحدٍ ونفضـلُ بعضَهـا على بعضٍ في الأُكُلِ﴾[2].

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٤٢.

(٢) سورة الرعد: الآية ٤.

(الباب السادس)
[في ذكر أدلة البعث في الكتاب العزيز]

ذكر أدلة البعث في الكتاب العزيز: وهيَ كثيرةٌ مِنْ ذلكَ قولُهُ تعالَى: ﴿ويقولُ الإنسانُ أإذا ما مِتُّ لسوفَ أُخْرَجُ حَيًّا. أوَ لَا يذكُرُ الإنسـانُ أنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ ولم يَكُ شَيئًا﴾(١)، ومثلُهُ ﴿أوَ لَم يَرَ الإنسانُ أنَّا خلقناهُ من نُطفةٍ فإذا هوَ خصيمٌ مبينٌ﴾(٢) المرادُ ها هُنا أبيُّ بن خلفٍ. وقيلَ العاصُ بنُ وائلٍ. ثمَّ ذكرَ سبحانَه وتعالَى شبهةً فقالَ: ﴿وضربَ لنا مثلاً ونسيَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ يُحيِيْ العظامَ وهيَ رميمٌ﴾(٣) فجاءَ الجوابُ مِنْ وجهينِ: **(أحدُهما)**: جدلاً يتضمنُ فسادَ شبهتِهِ مِنْ جهةِ أنهُ استبعدَ الإعادةَ والحياةَ في عظامِ وحشٍ وتـركَ نفسَه، وذلـكَ أهمُّ مِنْ إحياءِ الحيـوانِ البهيمِ، لأنَّ إيجـادَ الحيوانِ البهيمِ كانَ لأجلِ الإنسانِ. **(الوجْهُ الثاني)**: ﴿قُلْ يحييهَـا الذي أنشأها أوَّل مَرَّةٍ﴾(٤) إلى آخرِ السورةِ فإنَّ إيجادَ المبادىءِ أصعبُ في مطرد العرف وحكم العقلِ مِنْ ردِّ شيءٍ كان إلى ما كان على ما لا يخفى وقولُهُ سبحانَه: ﴿الذي جَعَلَ لكمْ مِنَ الشجرِ الأخضرِ ناراً﴾(٥) معناهُ: إيجادُ شيءٍ

---

(١) سورة مريم: الآيتان ٦٦، ٦٧.
(٢) سورة يس: الآية ٧٧.
(٣) سورة يس: الآية ٧٨.
(٤) سورة يس: الآية ٧٩.
(٥) سورة يس: الآية ٨٠.

مما ينافيهِ وينافرُهُ، فلا بدَّ منْ قوةٍ مِنْ خارجٍ تغلبُ على المتنافريْنِ المتنافيينِ بفعل ذلكَ، ثم قالَ سبحانَهُ: ﴿أوَ ليسَ الذي خلقَ السمواتِ والأرضَ بقادرٍ على أن يَخْلُقَ مثلَهُمْ بلَى وهو الخلَّاقُ العليمُ﴾[1] معناهُ: مَنْ قَدَرَ على خلقِ السمواتِ والأرضِ قدرَ على خَلْقِ هذا النوعِ اللطيفِ والشكلِ الضعيفِ، وإذا قدرَ على إيجادِهِ قدر على ردِّهِ بعد نفادِهِ. ثم أخبرَ سبحانَه عنْ نفسِهِ بماذا يخلقُ الأشياءَ وتكونُ فقالَ: ﴿إنَّما أمْرُهُ إذا أرادَ شيئاً أنْ يقولَ له كُنْ فيكونُ﴾[2]، وفي موضعٍ آخرَ ﴿إنَّما قولُنَا لشيءٍ إذا أردنَاهُ أنْ نقولَ لَهُ كُنْ فيكونُ﴾[3]، وعندَ ذلكَ سبَّحَ نفسَه فقالَ: ﴿فسُبحانَ الذي بيدِهِ ملكوتُ كُلِّ شيءٍ وإليهِ تُرْجَعُونَ﴾[4] فعمَّ الموجودَ والمعدومَ والإبداءَ والإعادةَ وجعلَ الرجوعَ خاتمةَ الكلامِ؛ لأنَّ الإنكار لهُ والأدلةُ أقيمتْ عليهِ.

ومِنْ أدلةِ البعثِ في قوله سبحانه: ﴿فسيقولونَ مَنْ يُعِيدُنَا قل الذي فطرَكُمْ أوَّل مَرَّةٍ﴾[5]، ومنْ أدلةِ البعثِ قولُهُ: ﴿وهوَ الذي يَبدأُ الخلقَ ثم يعيدُهُ وهو أهوَنُ عليهِ ولَهُ المثَلُ الأعلى في السمٰواتِ والأرضِ وهُوَ العزيز الحكيم﴾[6]، وإنما قالَ سبحانَه: ﴿وَهُوَ أهوَنُ عَلَيْهِ﴾ ضَرْبُ مثلٍ، لأنَّ المقدوراتِ عندَنا متفاوتةٌ في العُسْرِ واليُسْرِ باختلافِ القدرةِ التي تزيدُ وتنقصُ في حقِّنا، ولما كانَ إيجادُ شيءٍ لا مِن شيءٍ[7] مستحيلاً مِنَّا، وإيجادُ شيءٍ مِنْ شيءٍ ممكناً، فاستعارَ لهُ كلمةَ (أفعلَ) ضربَ ذلكَ مثلاً.

---

(١) سورة يٓس: الآية ٨١.
(٢) سورة يٓس: الآية ٨٢.
(٣) سورة النحل: الآية ٤٠.
(٤) سورة يٓس: الآية ٨٣.
(٥) سورة سبحان أو سورة الإسراء: الآية ٥١.
(٦) سورة الروم: الآية ٢٧.
(٧) يعني: من لا شيء، أي من العدم.

ولما استحال في حقِّهِ العجزُ والضعفُ عنْ إيجادِ شيءٍ لا مِنْ شيءٍ قالَ: ﴿وَلَهُ المثلُ الأَعْلَى﴾(١) وذلكَ مطردٌ في سائرِ صفاتِهِ سبحانَهُ مِنَ العلم والقدرةِ والحياة والرحمةِ والرِّضَا والغضبِ، وكلِّ صفةٍ وصفَ بها الإنسانَ مِنْ ذلكَ مثالُهُ قولُنا عالم، والواحدُ منَّا عالمٌ، ولكنْ يُطْلَقُ على المخلوقِ باعتبارِ معلومٍ ما، وإنَّ عِلْمَهُ منْ جهةِ جَهْلِهِ مِنْ جهاتٍ، ثمَّ عِلْمُهُ إما بطريقِ الخبرِ والنظرِ أو الإضطرارِ، واللَّهُ سبحانَه عالمٌ بما كانَ وما يكونُ علَى وجْهٍ لا يخْفَى عليهِ شيءٌ ولا يداخلُهُ الشكُّ ولا الذهولُ ولا النسيانُ ولا يتقدمُ بزمانٍ ولا مكانٍ ولا نظيرٍ ولا حيزٍ ولا اضطرارٍ. قالَ تعالَى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾(٢)، فهذَا معنَى قولِهِ: ﴿وَلَهُ المَثَلُ الأعلىٰ﴾(٣) ومنْ أدلةِ البعثِ قولُهُ تعالَى: ﴿قُلْ سيرُوا في الأرض فانظُروا كيفَ بدأ الخلقَ ثم اللَّهُ يُنْشِىءُ النشأَةَ الآخِرَةَ إنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شيءٍ قديرٌ﴾(٤)، ومن أدلة البعث قولُهُ تعالَى: ﴿وَمِنْ آياتِهِ أنكَ تَرَى الأرض خاشعة فإذا أنزلْنا عليْها الماءَ اهتزَّتْ وَرَبَتْ إنَّ الذي أحْيَاهَا لَمُحي الموتَى إنَّهُ عَلَى كُلِّ شيءٍ قديرٌ﴾(٥)، ومِنْ أدلةِ البعثِ في سورةِ الواقعةِ قولُهُ تعالَى: ﴿أفرأيتُم ما تمنون﴾(٦) ﴿أفرأيتُم ما تحرثُون﴾(٧) ﴿أفرأيتُم الماءَ الذي تَشْربون﴾(٨) ﴿أفرأيتُم النارَ التي تورونَ﴾(٩) ووجهُ دلالةِ النارِ على البعثِ أنَّ النارَ تكمنُ في الشجرِ والحجرِ

---

(١) سورة الروم: الآية ٢٧.
(٢) سورة الملك: الآية ١٤.
(٣) سورة الروم: الآية ٢٧.
(٤) سورة العنكبوت: الآية ٢٠.
(٥) سورة فصلت: الآية ٣٩.
(٦) سورة الواقعة: الآية ٥٨.
(٧) سورة الواقعة: الآية ٦٣.
(٨) سورة الواقعة: الآية ٦٨.
(٩) سورة الواقعة: الآية ٧١.

ثم تظهرُ بالقدْحِ ، وتشبُّ بالنفخِ ، فالحجرُ والشجرُ كالقبرِ، والقدحُ والنفخُ كالنفخة في الصورِ، وإنَّما ذكرَ اللَّهُ سبحانَه في هذهِ السورةِ هذهِ الأدلة الأربعةَ متواليةً؛ لأنهُ بدأَ السورةَ بالواقعةِ وهيَ القيامةُ وقالَ: ﴿ليسَ لوقعتِهَا كاذبةٌ. خافضةٌ رافعةٌ﴾[1]، وإنَّ الجاحدينَ كما قالَ كانُوا يقولونَ: ﴿أئِذا مِتْنا وكُنّا تراباً وعِظَاماً أئِنّا لمبعوثونَ. أوَ آباؤنَا الأولونَ﴾[2] فكانَ الجوابُ: ﴿قُلْ إنَّ الأولينَ والآخِرينَ. لمجموعونَ إلى ميقاتِ يومٍ معلومٍ﴾[3]، ومِنْ أدلةِ البعثِ في سورةِ الأحقافِ: ﴿أوَ لمْ يَرَوْا أنَّ اللَّهَ الذي خلقَ السمٰواتِ والأرض ولم يعيَ بخلقِهِنَّ بقادرٍ عَلَى أنْ يُحْييَ الموتَى بَلَى إنَّهُ عَلَى كُلِّ شيءٍ قديرٌ﴾[4]، ومِنْ أدلةِ البعثِ ﴿ألم ترَ أنَّ اللَّهَ أنزلَ من السماءِ ماءً فتصبحُ الأرضُ مخضرَّةً﴾[5].

قال المصنفُ: والأدلةُ على البعثِ جوازاً ووجُوباً: أما الجوازُ: فالنظائرُ الحِسِّيَّةُ. وأما الوجوبُ: فما وعدَ اللَّهُ تعالى بهِ مِنَ البعثِ والإعادةِ، وإكرامِ الطائعينَ بجنتهِ وإهانةِ المجرمينَ بعقوبتِهِ وما اقتنعَ للخلقِ بتكريرِ وعْدِهِ الصادقِ حتَّى حلفَ على ذلكَ في عدةِ مواضعَ مِنْ ذلكَ ﴿زَعَمَ الذينَ كَفَروا أنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وربِّي لَتبعثُنَّ ثمَّ لتنبؤنَّ بما عملتم﴾[6] ومِنْ ذلكَ ﴿فوربِّ السماءِ والأرضِ إنَّهُ لحقٌّ مِثْلَ ما أنكُم تنطِقُونَ﴾[7] ومِنْ ذلكَ: ﴿ويستنبئُونكَ أحَقٌّ هو قُلْ إيْ وربِّي إنَّهُ لَحقٌ﴾[8].

---

(١) سورة الواقعة: الآيتان ٢، ٣.
(٢) سورة الواقعة: الآيتان ٤٧، ٤٨.
(٣) سورة الواقعة: الآيتان ٤٩، ٥٠.
(٤) سورة الأحقاف: الآية ٣٣.
(٥) سورة الحج: الآية ٦٣.
((٦) سورة التغابن: الآية ٧.
((٧) سورة الذاريات: الآية ٢٣.
((٨) سورة يونس: الآية ٥٣.

(فصلٌ) ولم يكنْ لمنكرٍ شبهةٍ إلا مجردَ تعجبٍ واستبعادٍ قالَ اللَّهُ تعالَى: ﴿وإنْ تَعْجَبْ فعجبٌ قولُهم أَئِذا كُنَّا تراباً أَئِنَّا لَفي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[1] معناهُ: إنْ كانَ لكَ عجبٌ مِنْ شيءٍ فمنْ إنكارِهم البعثَ فاعجبْ؛ لأنَّ العجبَ ما ندَرَ وجودُهُ وخفيَ سببُهُ، وليسَ هذا مما ندرَ وهمْ يشاهدونَ إحياءَ الأرضِ بعدَ موتِها واكتساءَ الأشجارِ بعدَ عُرْيِها، وعَوْدَ النهارِ بعدَ زوالِهِ والليلَ بعدَ ذهابِهِ، وإخراجَ الحيِّ مِنَ الميتِ والميتَ منَ الحيِّ ولا مما خفيَ سببُهُ، فإنَّ اللَّهَ سبحانَه هو الفاعلُ لذلكَ والمخترعُ له والقادرُ عليهِ، وحكمتُهُ إظهارُ ما استترَ عَنْ خَلْقِهِ مِنْ تدبيرِهِ، وما النشأةُ الثانيةُ بأعجبَ مِنَ الأُولى، وقدْ قال بعضُ الحكماءِ: ثبتَ أنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ حكيمٌ، والحكيمُ لا ينقضُ ما بنى إلا لحكمة أتم من حكمةِ النقضِ ولا يجوزُ أنْ يكونَ أنقصَ ولا مماثلَه على ما لا يخْفَى[2].

---

(١) سورة الرعد: الآية ٥.

(٢) لقد نهج القرآن الكريم في استدلاله على إمكان البعث وتحق وقوعه منهجاً قويماً يجمع بين ما فطرت عليه النفوس من الإيمان، وبين ما تقرره العقول السليمة ولا يتنافى مع الفطر المستقيمة. وكان منهج القرآن في استدلاله على البعث كما يلي:

أولاً: الاستدلال على البعث بمن أماتهم الله ثم أحياهم، كما أخبر الله تعالى عن ذلك ومنهم:

١ ــ **قوم موسى**. قال تعالى: ﴿وإذا قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾ [البقرة: ٥٥ ـ ٥٦].

٢ ــ **المضروب بعضو من أعضاء البقرة**. كما قال تعالى: ﴿وإذ قتلتم نفساً فادَّارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون﴾ [البقرة: ٧٢ ـ ٧٣].

٣ ــ **الذين أخبر الله عنهم** بقوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم﴾ [البقرة: ٢٤٣].

٤ ــ **الذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها**. قال: ﴿أنَّى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال =

= بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾ [البقرة: ٢٥٩].

٥ ــ **سؤال إبراهيم عليه السلام عن كيفية إحياء الموتى.** قال تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم ربِّ أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهنَّ يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم﴾ [البقرة: ٢٦٠].

٦ ــ **ما أخبر الله به عن عيسى عليه السلام من أنه كان يحيي الموتى بإذن الله** كما قال تعالى: ﴿ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله﴾ [آل عمران: ٤٩].

٧ ــ **ما أخبر الله به من قصة أصحاب الكهف...**

وهذه الأدلة المتقدمة أدلة مادية حسية وقعت كلها لتدل على إحياء الموتى بعد مماتهم، وهذا برهان قطعي على القدرة الإلهية. وقد أخبر الله ورسله عن وقوع البعث والحشر فوجب القطع بذلك لأنه أخبر به من ثبت صدقه عمن ثبتت قدرته.

ثانياً: الاستدلال على البعث بالنشأة الأولى: كما تقدم في الآيات ٧٨ ـ ٧٩ من سورة يسٓ.

ثالثاً: الاستدلال على البعث بخلق الأكوان مثل السمٰوات والأرض: كما تقدم في الآية ٨١ من سورة يسٓ.

رابعاً: الاستدلال على إمكان البعث بخلق النباتات المختلفة.

ومن الآيات قوله تعالى: ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك يخرج الموتى لعلكم تذكرون﴾ [الأعراف: ٥٧].

خامساً: الاستدلال على إمكان البعث بحصول أحد المتضادين فإن الإحياء بعد الموت لا يستنكر من حيث أنه يحصل الضد بعد حصول الضد إلا أن ذلك غير مستنكر في قدرة الله تعالى لأنه لما جاز حصول الموت عقب الحياة فكيف يستبعد حصول الحياة مرة أخرى بعد الموت؟ فإن حكم الضدين واحد. قال تعالى مقرراً هذا المعنى: ﴿نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين﴾ [الواقعة: ٦٠]. =

. . . .

= سادساً: الاستدلال على البعث والإعادة بإخراج النار من الشجر الأخضر. كما تقدم في الآية ٨٠ من سورة يسٓ.

سابعاً: الاستدلال على البعث لحسم النزاع بين المخلوقات. قال تعالى: ﴿أفحسبتم إنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ [المؤمنون: ١١٥].

ثامناً: الاستدلال على البعث بحصول اليقظة بعد النوم، فإن النوم أخو الموت واليقظة شبيهة بالحياة بعد الموت. قال تعالى: ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون﴾ [الأنعام: ٦٠].

ثم ذكر عقب ذلك أمر الموت والبعث. فقال تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين﴾ [الأنعام: ٦١ - ٦٢].

واعلم أخي المسلم أن القرآن الكريم يرد على جميع المنكرين للبعث مهما اختلفت بيئاتهم أو تنوعت أساليبهم بمنطق الحجة والبرهان، ويقيم البراهين الحسية والعقلية على المعاد.

(الباب السابع)
[في ذكر أدلة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب العزيز]

ذكرُ أدلةِ نبوةِ محمدٍ صَلَّى اللَّه عليهِ وسلَّم مِنَ الكتابِ العزيزِ:

والكتابُ العزيزُ كلُّه دليلٌ على صدقِ رسالتِهِ بلْ كلّ سورةٍ منهُ دليلٌ عليهِ لمكانِ العجزِ عنِ الإتيانِ بمثلها، وقدْ وردَ التحدي بذلكَ في الكتابِ العزيزِ في خمسةِ مواضعَ من ذلكَ قولُهُ تعالَى: ﴿وإنْ كُنْتُم في رَيْبٍ مما نَزَّلْنَا على عَبْدِنَا فأتوا بسورةٍ من مثلِهِ وادعُوا شهداءَكُم مِنْ دُوْنِ اللَّهِ إن كنتُمْ صادقينَ﴾(1). **الموضعُ الثاني**: قولُهُ عزَّ وجلَّ: ﴿قـلْ لئنِ اجتمعتِ الإنسُ والجنُّ على أنْ يأتُوا بمثلِ هذَا القرآنِ لا يأتـونَ بمثلِهِ ولو كـانَ بعضُهم لبعضٍ ظهيراً﴾(2). **الثالث**: ﴿أمْ يقولونَ افتراهُ قلْ فأتُوا بعشْـرِ سُوَرٍ مثلِهِ مفترياتٍ وادعُوا مَنِ استطعتُم منْ دونِ اللَّهِ إن كنتُم صادقينَ﴾(3). **الموضعُ الرابعُ**: ﴿أمْ يقولونَ افتراهُ قُلْ فأتُوا بسورةٍ مثلِهِ وادعُوا منِ استـطعتُم مِنْ دونِ اللَّهِ إنْ كنتُم صادقينَ﴾(4). **الموضعُ الخامسُ**: ﴿أمْ يقولونَ تقوَّلَهُ بلْ لا يؤمنون فليأتُوا بحديثٍ مثلِهِ إنْ كانوا صادقينَ﴾(5).

---

(1) سورة البقرة: الآية ٢٣.

(2) سورة الإسراء: الآية ٨٨.

(3) سورة هود: الآية ١٣.

(4) سورة يونس: الآية ٣٨.

(5) سورة الطور: الآيتان ٣٣، ٣٤.

«دليلٌ آخرُ» ﴿قُلْ يا أيُّها الذينَ هادُوا إن زَعَمْتُمْ أنَّكُم أولياءُ لله مِنْ دُونِ النَّاسِ فتَمَنَّوا الموتَ إن كُنْتُم صادقينَ ولا يتمنونَهُ أبداً بما قدمتْ أيديهم واللَّهُ عليمٌ بالظالمينَ﴾[1] فلو لَم يَعْلَمُوا أنهُ رسولُ اللَّهِ وأنَّ خبرَه حقٌّ وصدقٌ لبادرُوا إلى ما يبطلُ دعواهُ ويكذبُ خبرَهُ.

«دليلٌ آخرُ» خاصٌّ باليهودِ والنَّصارى والعربِ قولُهُ تعالَى: ﴿الذينَ يتَّبِعُونَ الرسولَ النبيَّ الأُمِّيَّ الذي يجدونَهُ مكتُوباً عِنْدَهُمْ في التوراةِ والإِنْجيلِ﴾[2] وقدْ عَلِمُوا أنهُ لا يعرفُ الكتابةَ ولا النظرَ في الكتبِ ولم يكنْ مِنْ شأنِهِ.

«دليلٌ آخرُ» قولُهُ تعالَى: ﴿محمدٌ رسولُ اللَّهِ والذينَ مَعَهُ أشداءُ على الكفارِ رحماءُ بينهم تراهمْ ركَّعاً سجَّداً يبتغُونَ فضلاً من اللَّهِ ورضوَاناً سيماهُمْ في وجوهِهِمْ مِن أَثَرِ السُّجُودِ ذلكَ مثلهم في التوراةِ ومثلهم في الإنجيل﴾[3] إلى آخرة الآية فالدلالةُ مِنْ ذلكَ مِنْ وجهينِ:

(أحدهما): أنَّ هذهِ الصفاتِ لا تكونُ إلا في الصادقينَ إذْ كانتْ أعدلَ السماتِ وأكملَ الصفاتِ.

(الثاني): ذكرُهم في التوراةِ والإنجيلِ كما سبقَ.

«دليلٌ آخرُ» مختصٌّ باليهودِ قولُهُ تعالَى: ﴿والذينَ آتيناهُمُ الكتابَ يعلمونَ أنَّهُ مُنَزَّلٌ مِن ربِّكَ بالحقِ فلا تكونَنَّ مِنَ الممتَرينَ﴾[4] فلولا أنه يعلم أنَّهم يعلمونَ ذلكَ لما استجازَ أن يخبرَهم بأمرٍ يدعي معرفتَهم بهِ وهمْ لا يعرفونَه.

---

(١) سورة الجمعة: الآيتان ٦ ـ ٧.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

(٣) سورة الفتح: الآية ٢٩.

(٤) سورة الأنعام: الآية ١١٤.

«دليلٌ آخرُ» قولُهُ تعالَى: ﴿وإنْ يريدُوا أن يخدعُوكَ فإنَّ حَسْبُكَ اللَّهُ هو الذي أيَّدَكَ بنصرِهِ وبالمؤمنينَ. وألَّفَ بينَ قلوبِهِم لو أنفقتَ ما في الأرضِ جميعاً ما ألفتَ بينَ قُلُوبِهِم ولكنَّ اللَّهَ ألَّفَ بينهم إنه عزيزٌ حكيمٌ﴾(١) قالَ ابنُ عبدِالبرِّ كانَ بينَ الأوسِ والخزرجِ مِنَ العداوةِ ما لَمْ يكنْ بينَ أحدٍ مِنْ بني آدمَ فألَّفَ اللَّهُ قلوبَهم؛ لأجلِ نُصْرةِ نبيهِ محمدٍ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ فصارُوا يداً واحدةً وقلباً واحداً.

«دليلٌ آخر» قولُه تعالَى: ﴿هوَ الذي أرسلَ رسولَهُ بالهدىٰ ودينِ الحقِ ليظهرَهُ على الدينِ كُلِّهِ ولو كرِهَ المشركونَ﴾(٢) وهذا خبرٌ عن الغيْبِ وكانَ كما أخبرَ.

«دليلٌ آخرُ» قولُه تعالَى: ﴿وعدَ اللَّهُ الذينَ آمنوا مِنْكُمْ وعملُوا الصالحاتِ ليستخلفنَّهم في الأرضِ كما استخلفَ الذينَ من قبلِهم وليمكنَنَّ لهم دينَهُمُ الذي ارْتَضَىٰ لهمْ وليبدلَنَّهم مِنْ بعدِ خوفِهم أمْناً يعبدونني لا يشركُونَ بي شيئاً﴾(٣) ومعلومٌ أنَّ هذهِ سيرةُ أصحابِ النبيِّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّم في خوفِهم أولاً، وأمْنِهِمْ ثانياً، وتمكينِهم واستخلافِهم في الأرضِ. وهذا ظاهرُ الدلالةِ.

«دليلٌ آخرُ» قولُه تعالَى: ﴿وإنكَ لتهدِي إلى صراطٍ مستقيمٍ. صراطِ اللَّهِ الذي له ما في السموات وما في الأرضِ﴾(٤) فنَظَرْنَا فيما دَعَا إليه فكانتْ مكارمُ الأخلاقِ ومحاسنُ الشيمِ صراطَ العقلاءِ ومختارَ النبلاءِ،

---

(١) سورة الأنفال: الآيتان ٦٢ ـ ٦٣.
(٢) سورة الصف: الآية ٩.
(٣) سورة النور: الآية ٥٥.
(٤) سورة الشورى: الآيتان ٥٢، ٥٣.

(فصل) قد توجَّهَ القرآنُ العظيمُ على مائةِ دليلٍ وأربعةَ عشرَ دليلاً عددَ سورِهِ فالتحدِّي بالطوالِ منهُ كالتحدِّي بالقصارِ، فعلَى هذا السورُ القصارُ إذا أخذتْ عَدْلَها كلماتٍ على ترتيبِها كانتْ معجزةً ويقعُ بهذا التحدِّي أو سورةٍ مِنَ القصارِ وعدلُها مِنْ آي القرآن مِنْ أيِّ سورةٍ كانَ كانتْ معجزَةً، فإذنْ تبلغُ أدلةُ التعجيزِ منهُ مبلغاً يزيدُ على الألفِ دليلٍ، وهذَا مِنْ أسرارِ الكتابِ العزيزِ وعجائبِ التنزيلِ.

«دليلٌ آخرُ» قولُهُ: ﴿فإنْ لم تفعلُوا ولنْ تفعلُوا﴾[1] أخبرَ أنَّ المنكرينَ نبوتَهُ لم يَقْدِرُوا على معارضتِهِ وكذلكَ جرَى.

«دليلٌ آخرُ» قولُهُ تعالَى: ﴿إنَّا نحنُ نزَّلْنا الذكرَ وإنا له لحافظونَ﴾[2] وهذَا خبرٌ لم يسمعْ إلا مِنَ الرسولِ وكانَ الأمرُ كما أخبرَ.

«دليلٌ آخرُ» أخبرَ أنهُ: ﴿لا يأتيهِ الباطِلُ من بينِ يديهِ ولا مِنْ خَلْفِهِ﴾[3] فكانَ الأمرُ كما أخبرَ بحمدِ اللَّهِ ومَنِّهِ.

«دليلٌ آخرُ» ﴿الَم غُلِبَتِ الرومُ في أَدْنَى الأرضِ وهم مِنْ بعدِ غَلَبِهم سَيَغْلِبونَ في بضعِ سنينَ﴾[4] وقصةُ مبايعةِ أبي بكر الصديق رضيَ اللَّهُ عنهُ لأبيّ بنِ خلفٍ مشهورةٌ[5].

«دليلٌ آخرُ» ﴿لتدخلُنَّ المسجدَ الحرامَ إن شاءَ اللَّهُ آمنينَ محلِّقينَ رؤوسَكُم ومقصِّرينَ لا تخافون فَعَلِمَ مَا لَم تعلَمُوا﴾[6] فكانَ كذلكَ.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٤.
(٢) سورة الحجر: الآية ٩.
(٣) سورة فصلت: الآية ٤٢.
(٤) سورة الروم: الآيات ١ ـ ٤.
(٥) انظر القصة في تفسير ابن كثير (٣/٤٣٤). وقوله: إنها مشهورة لا يعني أنها صحيحة، بل يقصد أنها معروفة.
(٦) سورة الفتح: الآية ٢٧: وتمام الآية: ﴿فجعلَ من دونِ ذلك فتحاً قريباً﴾.

«دليلٌ آخرُ» المباهلةُ قولُهُ تعالَى: ﴿فمنْ حاجَّكَ فيهِ من بعدِ ما جاءكَ مِنَ العِلْمِ فَقُلْ تعالوا نَدْعُ أبناءَنَا وأبناءَكُم ونساءَنَا ونِسَاءَكُم﴾[1] الآية. وهذا دليلٌ يدلُّ بسياقِهِ وبخصوصِهِ على نَصَارَى نجران[2].

«دليلٌ آخرُ» يخصُّ اليهودَ وهوَ قولُهُ تعالَى: ﴿قُلْ إن كانتْ لكمُ الدارُ الآخِرَةُ عندَ اللَّهِ خالصةً مِنْ دونِ الناسِ فتمنَّوُا الموتَ إن كنتُم صادقينَ ولن يتمنَّوْهُ أبداً بما قدَّمتْ أيديهِمْ واللَّهُ عليمٌ بالظالمين﴾[3] وهذا دليلٌ واضحٌ وحجةٌ قاطعةٌ عَلَى اليهودِ، فلو لمْ يعلَمُوا أنَّهم إنْ تمنَّوْهُ ماتُوا، وإلا كانُوا تمنوهُ فيحاجُّوا به رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ ويبطِلُوا نبوتَهُ، وكانَ ذلكَ أهمَّ الأشياءَ عندَهم.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٦١: وتمام الآية: ﴿ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾.

(٢) يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه البخاري (٩٣/٨ رقم ٤٣٨٠) ومسلم (١٨٨٢/٤ رقم ٢٤٢٠/٥٥) والترمذي (٦٦٧/٥ رقم ٣٧٩٦) وقال: حديث حسن صحيح.

عن حذيفة قال: جاء العاقبُ والسيدُ صاحبا نجرانَ إلى رسولِ الله ﷺ يُريدانِ أن يُلاعناه. قال فقال أحدهما لصاحبه: لا تَفعلْ، فواللهِ لئن كان نبياً فلاعننا لا نفلحُ نحن ولا عقبُنا من بعدِنا. قالا: إنّا نعطيكَ ما سألتَنا، وابعَثْ معنا رجُلاً أميناً، ولا تبعَثْ معنا إلَّا أميناً. فقال: لأبعثنَّ معكم رجلاً أميناً حقَّ أمين. فاستشرفَ له أصحابُ رسول اللّهِ ﷺ، فقال: قم يا أبا عبيدةَ بن الجرّاح. فلما قام، قال رسول الله ﷺ: «هذا أمينُ هذه الأمة».

- السَّيد: مقدَّمُ القوم وكبيرُهم.
- العاقب: هو الذي يخلفه ويكون من بعده.
- نجْرَان: بفتح النون وسكون الجيم بلد كبير على سبع مراحل من مكة إلى جهة اليمين، يشتمل على ثلاثة وسبعين قرية، مسيرة يوم الراكب السريع.

انظر «معجم البلدان» لياقوت الحموي (٢٦٦/٥ - ٢٧١).

(٣) سورة البقرة: الآية ٩٤.

وهيَ الأخلاقُ المأمورُ بها في قوله سبحانه[1] ﴿وقضى ربك ألَّا تعبدُوا إلا إياهُ وبالوالديْنِ إحساناً إما يبلغنَّ عندَكَ الكِبَرَ أحدُهما أو كلاهُما فلا تقلْ لهما أفٍّ ولا تنهرْهُما وقلْ لَهُما قولاً كريماً. واخفضْ لهما جناحَ الذُلِّ منَ الرحْمَةِ وقلْ ربِّ ارحمْهُمَا كما ربياني صغيراً. ربُكمْ أعلمُ بما في نفوسِكُمْ إنْ تكونُوا صالحينَ فإنهُ كان للأوابينَ غفوراً. وآتِ ذا القربىٰ حقَّهُ والمسكينَ وابنَ السبيلِ ولا تبذرْ تبذيراً. إنَّ المبذرينَ كانوا إخوانَ الشياطينِ وكانَ الشيطانُ لربهِ كفوراً. وإما تعرضَنَّ عنهُم ابتغاءَ رحمةٍ من ربكَ ترجوهَا فقل لهم قولاً ميسوراً. ولا تجعلْ يدَكَ مغلولةً إلى عُنُقِكَ ولا تبسُطْها كُلَّ البَسْطِ فَتقعدَ ملوماً محسوراً. إنَّ ربكَ يبسطُ الرزقَ لمنْ يشاءُ ويقدِرُ إنه كانَ بعبادِهِ خبيراً بصيراً. ولا تقتُلوا أولادَكم خشيةَ إملاقٍ نحنُ نرزقُهم وإياكُم إنَّ قتلهم كانَ خِطأً كبيراً. ولا تقربُوا الزنا إنه كان فاحشةً وساءَ سبيلاً. ولا تقتلوا النفس التي حرمَّ اللَّهُ إلا بالحقِّ ومَنْ قُتِلَ مظلوماً فقد جعلْنا لوليهِ سلطاناً فلا يُسْرِفْ في القتل إنه كان منصوراً. ولا تقربُوا مالَ اليتيمِ إلا بالتي هيَ أحسنُ حتَّى يبلُغ أشدَّهُ وأوفُوا بالعهدِ إن العهدَ كان مسؤولاً. وأوفُوا الكيلَ إذا كِلْتُم وزِنُوا بالقسْطَاسِ المستقيمِ ذلكَ خيرٌ وأحسنُ تأويلاً. ولا تقفُ ما ليسَ لكَ بِهِ علم إن السمعَ والبصرَ والفؤادَ كل أولئك كان عنه مسئولاً. ولا تمشِ في الأرضِ مرحاً إنك لن تخرقَ الأرضَ ولنْ تبلغَ الجبالَ طولاً، كلُّ ذلكَ كانَ سيئُهُ عندَ ربِّكَ مكروهاً. ذلكَ مما أوْحَىٰ إليكَ ربُّكَ من الحكمةِ ولا تجعلْ مَعَ اللَّهِ إلهاً آخرَ فتُلقىٰ في جنهَّم ملوماً مدحُوراً﴾[2]، وكذلكَ قولُهُ تعالَى: ﴿إنَّ اللَّهَ يأمرُ بالعدلِ والإحسانِ وإيتاء ذي القُرْبَى وينْهَى عنِ الفحشاءِ والمنكرِ والبغيِ يعظِكُمْ لعلَّكمْ تذكَّرون﴾[3]

---

(١) أي في سورة سبحان. وهي سورة الإسراء.

(٢) سورة الإسراء: الآيات ٢٣ ـ ٢٩.

(٣) سورة النحل: الآية ٩٠.

ومثلُ هذهِ السيرِ العادلةِ والمكارمِ المستحسنةِ لا تجري على لسانِ ممخرق.

«دليلٌ آخرُ» على اليهودِ قولُه تعالَى: ﴿كُلُّ الطعامِ كانَ حِلاً لبني إسرائيلَ إلا ما حرَّمَ إسرائيلُ على نفسِهِ مِنْ قبلِ أن تُنَزَّلَ التوراةُ قلْ فأتُوا بالتوراةِ فاتلُوها إنْ كنتُم صادقينَ. فمنِ افترى على اللَّهِ الكذبَ مِنْ بعدِ ذلكَ فأولئكَ هم الظالمونَ﴾(1) روي(2) أنَّ إسرائيل أخذَه وجعُ العِرْقِ الذي يقالُ له النَّسا(3) فنذَر لئنْ شَفَاهُ اللَّهُ تعالَى منهُ ليحرِّمَنَّ أحبَّ الطعامِ والشرابِ إليهِ، وكانَ أحبَّ ذلكَ إليهِ لحومُ الإبلِ وألبانُها، فَشُفِيَ فوفَّى بنذرِهِ. وادعتِ اليهودُ أنَّ ذلكَ كانَ حراماً على نوحٍ حتى انتهى الأمرُ إليهم فبينَ اللَّهُ تعالَى بطلانَ دعواهم، وأمرَ أن يحاجَّهم بالتوراةِ فلم يجسرُوا على إخراجها، وفي ذلكَ الدلالةُ الظاهرةُ على صدقِ محمدٍ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّم.

«دليلٌ آخرُ» قولُه تعالَى: ﴿فَارتَقِبْ يومَ تأتي السماءُ بِدُخَانٍ مبينٍ﴾(4)

---

(1) سورة آل عمران: الآيتان ٩٣، ٩٤.

(2) روى الإمام أحمد في المسند (١٨/١٠٥ رقم ٢١٩ ـ الفتح الرباني) بسند حسن. عن ابن عباس قال: «حضرت عصابة من اليهود رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم حدثنا عن خلال نسألك عنها لا يعلمهنَّ إلا نبي، فكان فيما سألوه أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه قبل أن تنزل التوراة؟ فأنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل ـ يعقوب عليه السلام ـ مرض مرضاً شديداً فطال سقمه فنذر لله نذراً لئن شفاه الله من سقمه ليحرمن أحب الشراب إليه وأحب الطعام إليه، فكان أحب الطعام إليه لحم الإبل وأحب الشراب إليه ألبانها فقالوا اللهم نعم».

قلت: وانظر «الدُّرُّ المنثور في التفسير بالمأثور» للسيوطي (٢/٢٦٣ ـ ٢٦٥).

(3) عِرق النَّساء: وجع يبتدىء من مَفْصِلِ الوَرِك، وينزل من خلف على الفخذ، وربما على الكعب، وكلما طالت مدتُه، زاد نزولُه، وتُهزل معه الرجل والفخذ».

[«زاد المعاد في هدي خير العباد» لابن قيم الجوزية (٤/٧١ ـ ٧٢)].

(4) سورة الدخان: الآية ١٠.

وهيَ: السنونَ التي دعا النبيُّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّم بها على أهلِ مكةَ. والدخانُ: الجدبُ سُمِّيَ دخاناً؛ لأن الغبارَ يزيدُ في الجدبِ فيكونُ كالدخانِ(1).

---

(1) قلت: يؤيد ما ذكره المؤلف رحمه الله ما أخرجه البخاري (٨/٥١١ رقم ٤٧٧٤) ومسلم (٤/٢١٥٥ رقم ٣٩/٢٧٩٨) والترمذي (٥/٣٧٩ رقم ٣٢٥٤) وقال: حديث حسن صحيح.

عن مسروقٍ. قالَ: كُنَّا عِنْدَ عبدِاللَّهِ جلوساً. وهو مُضْطَجِعٌ بيننا. فأتاهُ رجلٌ فقالَ: يا أبا عبدِالرحمنِ إنَّ قاصًّا عند أبوابِ كِنْدَةَ يقصُّ ويزْعُمُ؛ أنَّ آيةَ الدخانِ تَجيءُ فتأخذُ بأنفاسِ الكفارِ. ويأخذُ المؤمنين منه كهيئةِ الزكام. فقالَ عبدُاللَّهِ، وجلسَ وهو غضبانُ: يا أيها الناسُ اتقوا اللَّهَ. مَنْ عَلِمَ منكم شيئاً فليقُل بما يَعْلَمُ، ومن لم يَعْلَمْ، فليقُلِ: اللَّهُ أعلمُ. فإنَّهُ أعلَمُ لأحدكُم أن يقولَ، لما لا يعلمُ: اللَّهُ أعلمُ. فإنَّ اللَّهَ عز وجل قال لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ ما أسئَلُكُمْ عليه من أجْرٍ وما أنا من المُتَكَلِّفينَ﴾ [صَ: ٨٦]. إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لما رأىٰ من الناسِ إدْباراً. فقالَ: «اللهمَّ! سَبْعٌ كَسَبْعِ يُوسُفَ» قالَ: فأخذتْهُمْ سَنَةٌ حَصَّت كُلَّ شيءٍ. حتى أكلوا الجلودَ والميتةَ من الجوعِ. وينظرُ إلى السماءِ أحدُهُمْ فَيَرَىٰ كهيئةِ الدُّخَانِ. فأتاهُ أبو سفيانَ. فقالَ: يا محمدُ! إنك جئتَ تأمُرُ بطاعةِ اللَّهِ وبصِلَةِ الرحم. وإنَّ قومكَ قد هلكوا فادعُ الله لهم. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فارتقِبْ يومَ تأتي السماءُ بدُخانٍ مبين. يغشى الناسَ هذا عذابٌ أليم﴾ [الدخان: ١٠ - ١١] إلى قولِهِ: ﴿إنكُم عائِدون﴾.

قال: أفَيُكْشَفُ عذابُ الآخِرةِ؟ ﴿يوم نبطشُ البطشةَ الكبرى إنَّا منتقمون﴾ [الدخان: ١٦].

فالبطشةُ يومَ بدرٍ. وقد مضت آيةُ الدخانِ، واللِّزَامُ، وآيةُ الروم.

- عند أبواب كِنْدَةَ: هو باب الكوفة.
- حصت: أي استأصلته.
- أفيكشف عذاب الآخرة: هذا استفهام إنكار على من يقول: إن الدخان يكون يوم القيامة، كما صرح به في الرواية الثانية.

فقال ابن مسعود: هذا قول باطل. لأن الله تعالى قال: ﴿إنا كاشفوا العذاب قليلاً إنكم عائدون﴾ ومعلوم أن كشف العذاب، ثم عودهم لا يكون في الآخرة. وإنما هو في الدنيا.

- واللزام: المراد به قوله سبحانه وتعالى: ﴿فسوف يكون لزاماً﴾ أي: يكون =

«دليلٌ آخرُ» قولُه تعالَى: ﴿قلْ للمخلَّفينَ منَ الأعرابِ ستُدعونَ إلى قومٍ أُولي بأسٍ شديدٍ تقاتلونَهم أو يسلمونَ﴾[1] وأصحابُ البأسِ الشديدِ مسيلمةُ وأصحابُهُ يومَ اليمامةِ وقيل فَارسُ والروم[2]، وأيُّما كانَ فقدْ أخبرَ عنِ الغيبِ فيه فكانَ الأمرُ كذلكَ.

«دليلٌ آخرُ» قولُه تعالَى: ﴿ألم ترَ إلى الذينَ نافقُوا يقولونَ لإخوانهمُ الذين كفرُوا مِنْ أهلِ الكتابِ لَئِنْ أُخرجتُم لنخرجَنَّ معكُم ولا نطيعُ فيكم أحداً أبداً وإنْ قوتلتُم لننصرنَّكُم واللَّهُ يشهَدُ إنهم لكاذبُونَ. لَئِنْ أُخرجُوا لا يخرجونَ مَعَهم ولئنْ قوتِلُوا لا ينصرونَهم﴾[3] وفي هذا **دليلٌ** ظاهرٌ على صدقِ الرسولِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّم؛ لأنهُ منَ الغيبِ الذي لا يعلمُهُ إلا اللَّهُ، فإنَّهم أخرجُوا فلم يخرجُوا معَهُمْ وقُوتِلُوا فلمْ ينصُرُوهُم.

«دليلٌ آخرُ» قولُه تعالَى: ﴿هوَ الذي بعثَ في الأميينَ رسولاً منْهم يتلُوا عليهِم آياتِهِ ويزكِّيْهِمْ ويعلِّمُهُمُ الكتابَ والحِكمةَ وإنْ كانوا مِنْ قبلُ لفي ضلالٍ مبينٍ. وآخرينَ منهم لما يَلحقوا بهم﴾[4] قيلَ همْ منْ بعدِ الصحابةِ وقيلَ همُ الأعاجمُ[2] وعلى كِلَا الأمرَيْنِ فقدْ وقعَ الخبرُ موافقاً لِلْمُخْبَرِ بِهِ.

= عذابهم لازماً. قالوا وهو ما جرى عليهم يوم بدر من القتل والأسر، وهي البطشة الكبرى.

● وآية الروم: المراد به قوله تعالى: ﴿غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون﴾ وقد مضت غلبة الروم على فارس، يوم الحديبية.

(١) سورة الفتح: الآية ١٦.

(٢) انظر تفسير القرطبي (٢٧٢/١٦) وزاد المسير لابن الجوزي (٤٣٠/٧ - ٤٣١).

(٣) سورة الحشر: الآيتان ١١، ١٢.

(٤) سورة الجمعة: الآيتان ٢، ٣.

(٥) قلت: أخرج البخاري (٦٤١/٨ رقم ٤٨٩٧) ومسلم (١٩٧٢/٤ رقم ٢٥٤٦/٢٣١) والترمذي (٧٢٥/٥ رقم ٣٩٣٣) وقال: حديث حسن. =

«دليلٌ آخرُ» قولُه تعالَى: ﴿واللَّهُ يعصمُكَ مِنَ النَّـاسِ﴾[1]، وقولُـهُ: ﴿لَهُ معقباتٌ مِنْ بين يديْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾[2] وكانَ يحرسُ فقالَ: اذهَبُوا فإنَّ اللَّهَ تعالى قدْ عَصَمَنِي فأخبرَ بعصمتِهِ فما قدرَ أحدٌ على قَتْلِهِ مَعَ كثرةِ أعدائِهِ والقاصدينَ له بذلكَ كما عُرِفَ.

«دليـلٌ آخرُ» قـولُه تعـالَى: ﴿أفلَا يَتَـدَبَّرُونَ القـرآنَ أمْ على قُلُوبٍ أَقْفَالُها﴾[3] ﴿أفلا يتدبرونَ القرآنَ ولو كانَ مِنْ عنـدِ غيرِ اللَّهِ لـوجدُوا فيـهِ اختلافاً كَثيراً﴾[4] ولا خَلْفَ في خبرِهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّم وقدْ أخبرَ كما تقدَّمَ مِنَ القصصِ، واليهودُ يعرفونَ صحةَ ما أخبرَ مِنْ كتابِهم هذا ولم يكنْ صاحبَ كتابةٍ ولا مشتغلاً بالكُتبِ[5]. وأخبرَ عَنْ أمورٍ مِنْها ما كانَ، ومنْها ما سيكونُ ومَنْ أنعمَ النظرَ في الكتابِ العزيزِ استنبطَ مِنْ أدلةِ صدقِ محمدٍ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ أكثرَ مما ذَكَرْنَاه، فأما أدلةُ رسالتِهِ مِنْ غيـرِ الكتابِ العزيزِ فهيَ أكثـرُ مِنْ أنْ تُحْصَى وقدْ أَلَّفَ في دلائـلِ النبوةِ جمـاعةٌ مِنْ

= عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كُنَّا جلوساً عندَ النبيِّ ﷺ، فأُنزلت عليه سورةُ الجمعة: ﴿وآخرينَ منهم لمَّا يَلحقوا بهم﴾ قـال: قلت: من هم يا رسـولَ الله؟ فلم يُراجعْهُ حتى سألَ ثلاثاً ـ وفينا سَلمانُ الفارسي، وَضعَ رسولُ الله ﷺ يدَهُ على سلمانَ ـ ثم قال: لو كان الإيمانُ عند الثُريا لنالَهُ رجالٌ ـ أو رجلٌ ـ من هؤلاء».

وانظر «زاد المسير» لابن الجوزي (٨/٢٥٩ ـ ٢٦٠) وتفسير البغوي المسمى معالم التنزيل (٤/٣٤٠).

(١) سورة المائدة: الآية ٦٧.

(٢) سورة الرعد: الآية ١١.

(٣) سورة محمد: الآية ٢٤.

(٤) سورة النساء: الآية ٨٢.

(٥) يشير المؤلف رحمه الله تعالى إلى قوله تعالى في سـورة العنكبوت: الآيـة ٤٨: ﴿وما كنتَ تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون..﴾.

العلماءِ مِنْهم أبو نعيمٍ الحافظُ الأصبهانيُّ[1]، ومنهمْ أبو بكرٍ بنُ فوركٍ[2]، ومنْهم الحافظُ أبو بكر البيهقي[3].

---

(١) هو: أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، الشافعي، محدث ومؤرخ. ولد في يوم مشرق من أيام رجب عام ست وثلاثين وثلاثمائة. وتوفي رحمه الله في يوم الاثنين الحادي والعشرين من محرم سنة ثلاثين وأربعمائة.

ومن مؤلفاته:

١ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، وقد طبع الكتاب في عشر مجلدات.

٢ ـ دلائل النبوة، وقد طبع في مجلدين. تخريج عبدالبر عباس. وتحقيق محمد رواس قلعة جي:

٣ ـ ذكر أخبار أصبهان، وقد طبع في مجلدين. وله كتب أخرى ورسائل كثيرة.

[انظر «معجم المؤلفين» لعمر رضا كحالة (٢٨٢/١ ـ ٢٨٣) وتذكرة الحفاظ ((١٠٩٢/٣ ـ ١٠٩٨) وميزان الاعتدال (١١١/١ رقم ٤٣٨) والنجوم الزاهرة (٣٠/٥) وسير أعلام النبلاء (٤٥٣/١٧ ـ ٤٦٤ رقم ٣٠٥)].

(٢) هو: محمد بن الحسن بن فُوْرَك الأنصاري الأصْبَهاني الشافعي، فقيه مفسر أصولي أديب نحوي لغوي واعظ عارف بالرجال، أقام بالعراق مدة، وورد الري، وكثر سماعه بالبصرة وبغداد، وحدث بنيسابور. توفي سنة (٤٠٦ هـ).

[انظر «معجم المؤلفين (٢٠٨/٩) وتبيين كذب المفتري (ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣) والنجوم الزاهرة (٢٤٠/٤) وشذرات الذهب (١٨١/٣ ـ ١٨٢) وطبقات السبكي (١٢٧/٤ ـ ١٣٥ رقم ٣١٦) وسير أعلام النبلاء (٢١٤/١٧ ـ ٢١٦ رقم ١٢٥)].

(٣) هو: الإمام أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر، من أئمة الحديث، ولد في خسروجرد (من قرى بيهق، بنيسابور) سنة (٣٨٤ هـ) ونشأ في بيهق ورحل إلى بغداد ثم إلى الكوفة ومكة وغيرهما، وطلب إلى نيسابور، فلم يزل فيها إلى أن مات سنة (٤٥٨ هـ).

قال إمام الحرمين: ما من شافعي إلا وللشافعي فضل عليه غير البيهقي، فإن له المنة والفضل على الشافعي لكثرة تصانيفه في نصرة مذهبه وبسط موجزه وتأييد آراءه.

وقال الذهبي: لو شاء البيهقي أن يعمل لنفسه مذهباً يجتهد فيه لكان قادراً على ذلك لسعة علومه ومعرفته بالاختلاف.

صنف زهاء ألف جزء: =

(فصلٌ) **ومَنْ فهِمَ مذهبَ الفصاحةِ والبلاغة وأرشدَه اللَّهُ تعالى ووفَّقَهُ أمْكَنَهُ أنْ يختارَ مِنَ الأخبارِ النبويةِ الصحاح ألفَ حديثٍ** فما زادَ تبلغُ مرتبةَ التعجيزِ عن الإتيانِ بِمِثْلِها فيكونُ ألفُ دليلٍ على النبوةِ مستمرةَ التعجيزِ مشهوداً لها بالتمييزِ، وإذا تقررتْ هذه الأدلةُ التي ذكرنَاها فكلُّ دليلٍ دلَّ على رسالةِ محمدٍ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ وعلى رسالةِ مَنْ سَبَقَهُ مِنَ الأنبياءِ صلواتُ اللَّه عليهمْ وسلامُهُ، فهوَ دليلٌ على وجودِ الصانعِ سبحانَهُ.

= (منها): السنن الكبرى، وقد طبع في عشر مجلدات.

ودلائل النبوة، وقد طبع في سبع مجلدات، تحقيق وتخريج وتعليق: الدكتور عبدالمعطي قلعجي.

والاعتقاد، والآداب، والزهد الكبير، وغيرها.

[انظر «الأعلام للزركلي (١/١١٦) وشذرات الذهب (٣/٣٠٤ ـ ٣٠٥) والمنتظم (٨/٢٤٢) ووفيات الأعيان (١/٧٥ ـ ٧٦) واللباب (١/٢٠٢) ومعجم البلدان (١/٥٣٧ ـ ٥٣٨).

(الباب الثامن)
[في ذكر الأسئلة والأجوبة الجدلية من الكتاب العزيز]

في ذكر الأسئلةِ والأجوبةِ الجدليةِ مِنَ الكتابِ العزيز: **سؤالُ المنع** ﴿وإذا قيلَ لهم لا تفسِدُوا في الأرضِ قالوا إنما نحنُ مصلِحُون﴾[1] معناهُ: لَا نسلمُ إنا مفسدونَ؛ لأنَّ الإصلاحَ ضدُّ الإفسادِ فإذا ادَّعَوْا الإصلاحَ فقدْ أنكروا الإفسادَ ثمَّ منعُوا هذهِ الدعوى بقولِهِ تعالَى: ﴿ألا إنَّهم هُمُ المفسدونَ﴾[2] وفي هذا دليلٌ على جوازِ المنْعِ مِنْ طريقِ المعنى، وفيهِ الردُّ على مَنْ يقولُ هذا بغير توجيهٍ لإهمالِ مراعاةِ صيغةِ لفظِ المجادلِ، وهذا يطردُ في كلِّ موضعٍ هذا سبيلُهُ، ومثلُهُ قولُ اللَّهِ تعالَى عن الكفارِ حيثُ قالُوا لرسلِ عيسى بنِ مريمَ: ﴿إنَّا تطيَّرْنَا بِكُم﴾[3] قالُوا لهم: ﴿طائِرُكُم مَعَكم﴾[4] أي: شؤمُكُم مِنْكُم لا مِنَّا، ودليلُهُ أنَّكم جعلْتُمُ التذكيرَ باللَّهِ وبعبادتِهِ علَةَ الشؤْمِ أيْ: ﴿أإنْ ذُكِّرْتُم بَلْ أنتمْ قومٌ مسرفون﴾[5] **سؤال النقضِ** في قولِهِ تعالَى: ﴿الذينَ قالُوا إنَّ اللَّهَ عَهِدَ إلينا ألَّا نُؤْمِنَ لرسُولٍ حتى يأتيَنا بقربانٍ تأكلُهُ النارُ قل قدْ جاءَكُم رسلٌ مِنْ قبلي بالبيناتِ

(١) سورة البقرة: الآية ١١.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٢.
(٣) سورة يسٓ: الآية ١٨.
(٤) سورة يسٓ: الآية ١٩.
(٥) سورة يسٓ: الآية ١٩.

وبالذي قلتُم فَلِمَ قتلتموهُم إنْ كنتم صادِقِينَ﴾[1]. معناهُ: العلةُ التي توجبُ عندَكم الإيمانَ بالرسلِ قدْ وُجِدَتْ فَلِمَ قتلتُمُوهُمْ، فدلَّ على أنَّ التعليلَ بما ذكرتُمْ غيرُ صحيحٍ. وهذا النقضُ واردٌ على معنَى كلامِهم، فدلَّ على جواز إيرادِ ما يهدِمُ كلامَ الخصْمِ علَى أيِّ وجْهٍ كانَ.

ومنْ صورِ النقضِ قولُه تعالَى: ﴿وإِذَا قيلَ لهمُ اتبعُوا ما أنزلَ اللَّهُ قَالُوا بل نتبعُ ما ألفينَا عليهِ آباءَنَا﴾[2] **النقضُ في قولِهِ**: ﴿أَوَلَوْ كان آباؤُهم لا يعقلونَ شيئاً ولا يهتدونَ﴾[3]، **ومنْ صورِ النقضِ أيضاً في قولِهِ تعالَى**: ﴿ما كانَ للنبيِّ والذينَ آمنُوا أنْ يستغفرُوا للمشركينَ ولو كانُوا أولي قُرْبَى مِنْ بَعدِ ما تبينَ لهمْ أنَّهم أصحابُ الجحيمِ﴾[4]، النقضُ بإبراهيمَ عليهِ السلامُ؛ لأنهُ استغفرَ لأبيهِ وهوَ مشركٌ في قولِه تعالَى: ﴿سأستغفرُ لكَ ربي إنهُ كانَ بي حفياً﴾[5] فكانَ الجوابُ: ﴿وَمَا كَانَ استغفارُ إبراهيمَ لأبيهِ إلَّا عنْ موعدةٍ وعدَها إياهُ، فلما تبينَ لهُ أنهُ عدوٌّ للَّهِ تَبَرَّأَ منهُ إنَّ إبراهيمَ لأوَّاهٌ حليمٌ﴾[6]. **ومنْ صورِ النقضِ**، قولُهُ تعالَى: ﴿فلمَّا جاءَهُمُ الحقُّ مِنْ عندِنَا قالُوا لولا أُوتيَ مثلَ ما أوتيَ موسَى أوَ لم يكفُروا بما أُوتي مُوسَى مِنْ قبلُ قالُوا ساحِرانِ تظاهَرَا وقالُوا إنَّا بكلٍ كافِرُونَ﴾[7]. **سؤالُ القولِ بالموجبِ في** قولِهِ تعالَى: ﴿قالُوا إنْ أنتمُ إلَّا بشرٌ مثلُنا تريدونَ أنْ تصدُّونَا عَمَّا كان يعبدُ آباؤنا فأْتُونَا بسلطانٍ مبينٍ﴾[8] **القولُ بالموجبِ**﴿قالتْ لهم رسلُهم إنْ نحنُ

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٨٣.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٧٠.
(٣) سورة البقرة: الآية ١٧٠.
(٤) سورة التوبة: الآية ١١٣.
(٥) سورة مريم: الآية ٤٧.
(٦) سورة التوبة: الآية ١١٤.
(٧) سورة القصص: الآية ٤٨.
(١(٨)سورة إبراهيم: الآية ١٠.

إلَّا بشرٌ مِثْلُكُمْ﴾[1] تقديرُهُ: ﴿يريدُ أنْ يصدَّكُم عما كانَ يعبـدُ آباؤكم﴾[2] ﴿ولكنَّ اللَّهَ يمنُّ على مَنْ يشاءُ مِنْ عِبَادِهِ وما كانَ لنا أنْ نأتيكُم بسلطانٍ إلَّا بإذن اللَّهِ﴾[3] [ومن] القولُ بالموجبِ في قوله تعالى: ﴿الذين يؤذُونَ النبيَّ ويقولونَ هوَ أُذُنٌ﴾ **القول بالموجب**: ﴿قل أذنُ خيرٍ لكم يؤمنُ باللَّهِ ويؤمنُ للمؤمنين﴾[4] «**سؤالُ المعارضةِ**» في قولِهِ تعالَى: ﴿فأتُـوا بسورةٍ مثلِهِ﴾[5] ﴿فأتوا بعشرِ سورٍ مثلِهِ مفترياتٍ﴾[6] ﴿فليأتُوا بحديثٍ مثلِهِ﴾[7] وذلكَ أنـه جعلَه دليـلاً على نُبُوَّتِـهِ، والدليـلُ متَى عورضَ بمثلِهِ بـطلَ عملُه فيسقطُ الاحتجاجُ بهِ.

(**فصلٌ**) **الحكمُ تارةً يعلَّلُ بعلةٍ واحدةٍ منفردةٍ** كقولِهِ تعالى: ﴿ولكُم في القصاص حياةٌ﴾[8].

وتارةً بعلتينِ، كقوله تعالَى: ﴿وإنْ أردتُمُ استبدالَ زوجٍ مكانَ زوجٍ وآتيتُمْ إحداهُنَّ قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً وإثمـاً مبيناً وكيف تأخذونَهُ وقد أفضَى بعضُكُم إلى بعضٍ وأخذنَ منكُم ميثاقاً غليظاً﴾[9] فإنْ قيلَ: بلْ هيَ علةٌ واحدةٌ مركبةٌ مِنْ وصفينِ. فالجوابُ أنَّ الإفضاءَ علة في استحقاقِ المهرِ في الصحيحِ مِنَ النكاحِ والفاسدِ لقولِ النبيِّ صلَّى اللَّهُ

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ١١.
(٢) سورة سبأ: الآية ٤٣.
(٣) سورة إبراهيم: الآية ١١.
(٤) سورة التوبة: الآية ٦١.
(٥) سورة يونس: الآية ٣٨.
(٦) سورة هود: الآية ١٣.
(٧) سورة الطور: الآية ٣٤.
(٨) سورة البقرة: الآية ١٧٩.
(٩) سورة النساء: الآيتان ٢٠، ٢١.

عليهِ وسلَّم: «فلَها المهرُ بما استحلَّ مِنْ فَرْجِها»[1] والميثاقُ الغليظُ هوَ عقدةُ النكاحِ وهيَ كلمةُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ: [وهوَ قولُه بما اسْتَحْلَلْتُمْ مِنْ كلمةِ اللَّهِ][2] فهوَ قدْ يثبتُ بمجردِهِ دونَ الإفضاءِ جميعُ المهرِ بالموتِ ونصفُهُ بالطلاقِ.

(فصلٌ) وقدْ يعللُ الحكمُ بعللٍ كلُّ علةٍ تستقلُّ بالحكمِ كقولِهِ تعالَى: ﴿وما مَنَعَهُمْ أنْ تُقْبَلَ منْهم نفقاتُهم إلا أنَّهم كفرُوا باللَّهِ وبرسُوْلِهِ ولا يأتونَ الصلاةَ إلَّا وهُمْ كُسَالَى ولا ينفقونَ إلا وهمْ كارهون﴾[3].

(فصلٌ) **تعليقُ الحكم على علةٍ يقتضي النقيضَ** كقولِه تعالَى: ﴿وتأتونَ في ناديكم المنكر، فما كانَ جوابَ قومِهِ إلا أنْ قالُوا إئْتِنا بعذابِ اللَّهِ إنْ كنتَ مِنَ الصادقينَ﴾[4]، وكقولِهِ تعالَى: ﴿أخْرِجُوهُمْ مِنْ

---

(١) وهو جزء من حديث أخرجه الترمذي (٣/٤٠٧ رقم ١١٠٢) وأبو داود (٢/٥٦٦ رقم ٢٠٨٣) وابن ماجه (١/٦٠٥ رقم ١٨٧٩) وابن الجارود في المنتقى (رقم ٧٠٠) والطحاوي في شرح المعاني (٣/٧) وابن حبان (ص ٣٠٥ رقم ١٢٤٧ ـ الموارد) والدارقطني (٣/٢٢١ رقم ١٠) والحاكم (٢/١٦٨) والبيهقي (٧/١٠٥) وأبو نعيم في الحلية (٦/٨٨) والطيالسي (ص ٢٠٦ رقم ١٤٦٣) وأحمد (٦/٤٧، ١٦٥) والدارمي (٢/١٣٧) والشافعي في ترتيب المسند (٢/١١) وعبدالرزاق في المصنف (٦/١٩٥ رقم ١٠٤٧٢) والحميدي (١/١١٢ رقم ٢٢٨) وابن أبي شيبة في المصنف (٤/١٢٨) والبغوي في شرح السنة (٩/٣٩) وغيرهم وله شواهد من حديث جماعة من الصحابة.

وهو حديث صحيح. وقد بسط الكلام عليه البيهقي في السنن (٧/١٠٥، ١٠٧) والحافظ في «التلخيص» (٣/١٥٦، ١٥٧).

(٢) ما بين القوسين كلام مضطرب. ولعله: [... واستحلَلْتُم فروجَهُنَّ بكلمة الله] انظر صحيح مسلم (٢/٨٨٩).

(٣) سورة التوبة: الآية ٥٤.

(٤) سورة العنكبوت: الآية ٢٩.

قريتِكمْ إنَّهم أناسٌ يتطهرونَ﴾[1]، وكقولِه تعالَى: ﴿وإذْ قالُوا اللهمَّ إنْ كانَ هذا هوَ الحقَّ مِنْ عندكَ فأمطرْ علينا حجارةً منَ السماءِ أو إئْتِنَا بعذابٍ أليمٍ﴾[2] ومثلُهُ: ﴿فأسقطْ علينا كِسَفاً من السماءِ إنْ كنتَ مِنَ الصادقينَ﴾[3].

(فصلٌ) أجوبةُ الأسئلة على التفصيل كقولِهِ تعالى: ﴿أما السفينةُ فكانتْ لمساكين﴾[4] ﴿وأما الغلام﴾[5] ﴿وأما الجدارُ﴾[6].

(فصلٌ) وقدْ تذكرُ صورةُ القياسِ وليسَ بقياسٍ دلالةٍ كقولِهِ تعالى: ﴿فوربِّ السماءِ والأرضِ إنهُ لحقٌّ مثل ما أنكُم تنطقون﴾[7] فالحكمُ المقيسُ عليهِ أمرٌ وجوديٌّ: وهوَ النطقُ والذي وعدَهُم بهِ هوَ الحياةَ بعد الموتِ، والبعثَ بعدَ الدفنِ، وهوَ أمرٌ معدومٌ وليسَ بينَه وبينَ النطقِ مناسبةٌ، ومجردُ وجودِ حقيقةِ شيءٍ لا يدلُّ على وجودِ حقيقةٍ أخرى، فعندَ ذلك يعلمُ أنهُ ما أرادَ إلا تحقيقَ الوعدِ بإيجادٍ على وجْهٍ لا يشكُّ فيهِ كوجودِ النطقِ، كقولِ النبيِّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ: «إنكمُ لترونَ ربَّكم كما ترونَ هذا القمرَ لا تضامونَ في رؤيتِهِ»[8] ومعلومٌ أنهُ ما أرادَ أنَّ رؤيةَ القمرِ مقتضيةٌ

---

(1) سورة الأعراف: الآية ٨٢.
(2) سورة الأنفال: الآية ٣٢.
(3) سورة الشعراء: الآية ١٨٧.
(4) سورة الكهف: الآية ٧٩.
(5) سورة الكهف: الآية ٨٠.
(6) سورة الكهف: الآية ٨٢.
(7) سورة الذاريات: الآية ٢٣.
(8) وهو جزء من حديث أخرجه البخاري (١٣/٤١٩ رقم ٧٤٣٧) ومسلم (١/١٦٣ رقم ١٨٢/٢٩٩) وأحمد (٢/٢٩٣) والطيالسي (ص٣١٤ رقم ٢٣٨٣) وغيرهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

لرؤيةِ اللَّهِ تعالى[1]، بلْ أرادَ أنهُ كائنٌ كوجودِ هذا القمرِ ورؤيتِهِ، ولو قيلَ: فإنَّ فيهِ شبهة اقتضتِ القياسَ على النطقِ صحَّ مِنْ جهةِ أنَّ الكلامَ يغـورُ ويعودُ، فهو كالميتِ له غيبةٌ بالدفنِ والبِلَى ثم حضورٌ بـالبعثِ فعلى هذا قياسُ الشبهِ صحيحٌ.

(فصلٌ) ومثالُ قيـاسِ الشبهِ قـولُه تعـالىَ: ﴿يا بني آدمَ لا يفتننكُم الشيطانُ كما أخرجَ أبويْكُم من الجنـة﴾[2]، وفيهِ دلالـةٌ على جوازِ إقـامةِ اللازمِ للحكمِ أو السببِ مقامَ نفسِ الحكم؛ لأنَّ فتنتَه سببُ الخروجِ مِنَ الجنةِ وهي سببُ المنع مِنْ دخولِها، وذلكَ كلُّهُ توسعةٌ على المستَدَلّ.

(فصلٌ) في الترجيح وهوَ دليلٌ معتبرٌ في الشرعِ قد تكررَ وجودُهُ في الكتاب العزيز في مواضعَ مِنْ ذلكَ قولُه عزَّ وجل: ﴿ولا تهنُوا في ابتغاءِ القومِ إنْ تكونوا تألمونَ فإنَّهم يألمونَ كما تألمونَ وترجونَ من اللَّهِ مَا لا يرجونَ﴾[3]ومعناه: التحريضُ على القتـالِ والتسليةُ لمـا اصابَ من مكـروهٍ بالتساوي في الألمِ، والمزيةُ لكمْ عليهم بما ترجونَ مِنَ ثوابِ اللَّهِ تعالى، فأنتُم أَوْلى بطلبِهِم وأحْرَى بالصبرِ على المكروهِ مِنْ جِهَتِهِم، **ومنَ الترجيحِ** قولُهُ تعالى: ﴿أفمنْ يهدي إلى الحقِّ أحقُّ أن يُتَّبَعَ أمنْ لا يَهِدِّي إلا أنْ يُهدَى فما لكُم كيف تحكمونَ﴾[4] **ومن الترجيحِ** أيضاً قولُهُ تعالَى: ﴿قلِ الحمدُ للَّهِ وسلامٌ على عبادِهِ الذينَ اصطَفَى آللَّهُ خيرٌ أمَّا يشركونَ﴾[5] في

---

(١) قلت: انظر «كتاب التصديق بالنظر إلى الله تعالى في الآخرة» للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجري. تحقيق وتخريج: سمير بن أمين الزهيري. وكتاب «دلالة القرآن والأثر على رؤية الله تعالى بالبصر» للأستاذ عبدالعزيز بن زيد الرّومي.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٢٧.

(٣) سورة النساء: الآية ١٠٤.

(٤) سورة يونس: الآية ٣٥.

(٥) سورة النمل: الآية ٥٩.

خمس مراتٍ أمّنْ. ومَن الترجيحِ قولُه تعالَى: ﴿أفمنْ أسَّسَ بنيانَهُ على تَقْوَى مِنَ اللَّهِ ورضوانٍ خَيْرٌ أمنْ أسَّسَ بنيانَهُ على شفا جُرُفٍ هارٍ فَانهارَ بِهِ في نارِ جهنَّم واللَّهُ لا يهدِي القومَ الظالمينَ﴾[1]، ومَن الترجيحِ قولُه تعالَى: ﴿يا صاحبَي السِّجنِ أأربابٌ متفرقونَ خيرٌ أمِ اللَّهُ الواحدُ القهارُ﴾[2] وذلكَ لما تَقرَرَ أنَّ الاثنينِ لا بدَّ مِنْ وجودِ الفسادِ منْهما لوقوعِ الاختلافِ بينَهما. ومِنَ الترجيحِ المذكورِ في الحجة العظْمَى ﴿فأيُّ الفريقينِ أحقُّ بالأمنِ﴾[3].

(فصلٌ) في المفهومِ وهوَ ينقسمُ قسمينِ مفهومُ الموافقةِ[4] **ومفهومُ المخالفَةِ**[5]، فالموافقةُ متفقٌ عليه لقولِه تعالَى: ﴿فلا تقلْ لهما أفٍ﴾[6]

---

(1) سورة التوبة: الآية ١٠٩.

(٢) سورة يوسف: الآية ٣٩.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٨١.

(٤) هو أن يكون حكم المسكوت عنه حكم المذكور. فإن كان المسكوت عنه أولى بالحكم من المنطوق فهو **فحوى خطاب**، نحو: ﴿فلا تَقُل لهما أفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣]. فإنه يدل على تحريم الضرب بالأولى.

أما إذا كان الحكم المسكوت عنه مساوياً لحكم المنطوق به فهو **لحن خطاب**، نحو: ﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين﴾ [الأنفال: ٦٥]. فإنه يدل على وجوب ثبات الواحد لعشرة فهو مُساوٍ للمنطوق.

[انظر «تفسير النصوص في الفقه الإسلامي» للدكتور محمد أديب صالح (٦٠٧/١ - ٦٠٩)].

(٥) هو دلالة اللفظ على ثبوت حكم للمسكوت عنه مخالف لما دل عليه المنطوق، لانتفاء قيد من القيود المعتبرة في الحكم، وينقسم إلى خمسة أقسام:

١ ـ مفهوم الوصف.

٢ ـ مفهوم الشرط.

٣ ـ مفهوم الغاية.

٤ ـ مفهوم العدد.

٥ ـ مفهوم الحصر...

انظر المصدر السابق (٦٠٩/١ ـ ٦٢٠).

(٦) سورة الإسراء: الآية ٢٣.

فمفهومُهُ تحريمُ الضربِ والسبِّ؛ لأن التأفيفَ دونَ ذلكَ وكذلكَ قولُهُ تعالى: ﴿ومِنْ أهلِ الكتابِ مَنْ إنْ تأمنْهُ بقنطارٍ يؤدِّه إليكَ ومنْهم مَنْ إنْ تأمنْه بدينارٍ لا يؤدِّهِ إليكَ إلا ما دمتَ عليهِ قائماً﴾[1] ولا يَخْفَى أنَّ مَنْ يؤدي القنطارَ يؤدي ما دونَهُ وَمنْ يخونُ في دينارٍ يخونُ فيما فوقَه، ويسمَّى ذلكَ فَحْوَى الخطابِ. ومفهومُ المخالفةِ كقولِه تعالَى: ﴿ما دمتَ عليه قائماً﴾[2] فمفهومُهُ إنْ لم يَكُنْ عليهِ قائماً لم يؤدِّه إليكَ، ومِنَ الناسِ مَنْ يقولُ: ليسَ هوَ بحجةٍ لقولِه تعالَى: ﴿فمنِ افْتَرىٰ على اللَّهِ الكذِبَ من بَعْدِ ذلكَ فأولئكَ همُ الظالمونَ﴾[3]، ومعلومٌ أنَّ مَنِ افترى على اللَّهِ الكذبَ فهوَ مِنَ الظالمينَ قبلَ الرسالةِ وبعدَها وقبلَ نزولِ الكتابِ وبعدَه.

(فصلٌ) وقد سمَّى اللَّهُ سبحانَه الشُبه التي أوردَها الكفارُ أمثالاً، فقالَ تعالىَ: ﴿وقالوا ما لهذا الرسولِ يأكلُ الطعامَ ويمشي في الأسواقِ لولا أُنزل إليه مَلَكٌ فيكونَ مَعَهُ نذيراً. أو يُلْقَى إليه كنزٌ أو تكونُ له جنَّةٌ يأكلُ منها وقالَ الظالمونَ إنْ تتبعونَ إلاَّ رَجُلاً مسحوراً﴾[4] فكانَ الجوابُ: ﴿انظرْ كيفَ ضَرَبُوا لكَ الأمثالَ فضلُّوا فلا يستطيعونَ سبيلاً﴾[5]، وهذا جوابُ جدلٍ يتضمنُ فسادَ ما تمسَّكُوا بهِ مِنَ الشُّبَهِ المذكورةِ؛ لأنَّهم قالوا إنهُ مسحورٌ والمسحورُ مبلبلُ الفكر ذاهبُ الرأي فكيفَ يكونُ معهُ ملكٌ أو يلقَى إليهِ كَنزٌ، ثمَّ جاءَ الجوابُ الآخَرُ: ﴿وما أرسلْنا قبلكَ مِنَ المرسلينَ إلاَّ إنَّهم ليأكلونَ الطعام ويمشونَ في الأسواقِ﴾[6] فأما ما اقترحُوهُ مِنَ الآياتِ في هذا

(١) سورة آل عمران: الآية ٧٥.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٧٥.
(٣) سورة آل عمران: الآية ٩٤.
(٤) سورة الفرقان: الآيتان ٧، ٨.
(٥) سورة الإسراء: الآية ٤٨.
(٦) سورة الفرقان: الآية ٢٠.

الموضعِ وفي غيره فالجوابُ عنهُ مذكورٌ في عدةِ مواضعَ، منْها قوله تعالى: ﴿وما مَنَعَنا أنْ نرسِلَ بالآياتِ إلَّا أنْ كَذَّبَ بها الأولونَ﴾(١)، وقال في موضعٍ آخرَ: ﴿وقالوا لولا أُنْزِلَ عليهِ مَلَكٌ ولو أنزلْنا مَلَكاً لقُضِيَ الأمرُ ثم لا يُنْظَرونَ﴾(٢) ومثلُهُ قولُهُ تعالَى: ﴿ولما وقعَ عليهمُ الرِّجْزُ قالوا يا مُوسى ادعُ لنا ربَّكَ بما عَهِدَ عندَكَ لئنْ كشفتَ عَنَّا الرجزَ لنؤمننَّ لك ولنرسلنَّ معكَ بني إسرائيل. فلما كشفْنَا عنهُم الرجزَ إلى أجلٍ هم بالغوهُ إذا هم ينكُثُونَ. فانتقمْنَا منهمْ فأغرقْنَاهم في اليمِّ بأنَّهم كذَّبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلينَ﴾(٣).

والفرقُ بينَ الآياتِ الدالةِ على صدقِ الرسلِ عليهمُ السلامُ المُقترحاتُ مِنَ الأممِ وبينَ الآياتِ التي تَبْتَكِرُها الأنبياءُ أنَّ المقترحاتِ لم تبقِ لهمْ عذراً في تركِ الإيمانِ بعدَ الإتيانِ بها، إذْ هيَ بمنزلةِ المشاهدِ الذي أجازَ الخصمُ شهادتَهُ عليهِ، فإذا ردَّ وجحدَ فقدْ عاندَ وصدَّ فاستحقَّ تعجيلَ الإنزال بِهِ، بخلافِ سائر الآياتِ فإنَّها وإن كانت أدلةً إلا أنَّ للناظر فيها فسحةَ النظرِ ومهلةَ التأملِ، فلهذَا لم يعجلْ عقابَه وهذا المعنى دلَّ عليه قولُهُ تعالى: ﴿ولو أنَّا أهلكناهُمْ بعذابٍ مِنْ قبْلِهِ لَقَالُوا ربَّنا لولا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولاً فنتبعَ آياتِكَ من قبلِ أن نَذِلَّ ونَخزَىٰ﴾(٤).

(فصلٌ) في ذمِّ التقليدِ والمقلدين وقدْ عابَهم اللَّهُ عزَّ وجلَّ في كتابِهِ العزيزِ في عدةِ مواضعَ منْها قولُه تعالَى: ﴿وإذا قيلَ لهم اتَّبِعُوا ما أنزلَ اللَّهُ قالُوا بَلْ نتبعُ ما ألفينا عليه آباءنا أوَ لو كانَ آباؤُهم لا يعقلونَ شيئاً ولا يهتدون﴾(٥)، ومنْ ذلكَ في المائدةِ: ﴿وإذا قيلَ لهم تعالَوْا إلى ما أَنْزَلَ اللَّهُ

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٥٩.
(٢) سورة الأنعام: الآية ٨.
(٣) سورة الأعراف: الآيات ١٣٤ ـ ١٣٦.
(٤) سورة طه: الآية ١٣٤.
(٥) سورة البقرة: الآية ١٧٠.

وإلى الرسولِ قالُوا حَسْبُنا ما وجدْنا عليهِ آباءَنا أَوَ لَوْ كَانَ آباؤُهِم لا يعلمونَ شيئاً ولا يهتدون﴾[1]، ومِنْ ذلكَ في حم الزخرفِ: ﴿بلْ قَالُوا إنَّا وجدْنا آباءَنا على أُمَّةٍ وإنَّا على آثارِهِمْ مهتدونَ﴾[2]، ثمَّ ذكرَ سبحانَه أنَّ هذهِ الشبهةَ تمسكُ بها جميعُ الأمم قال سبحانَهُ: ﴿وكذلكَ ما أرسلْنا مِنْ قبلكَ في قريةٍ مِنْ نذيرٍ إلاَّ قالَ مترفُوها إنا وجدْنا آباءَنا على أمةٍ وإنا على آثارِهم مقتدون﴾[3]، فكان الجوابُ عنْ شُبَهِهِمْ مِنْ وجهَيْنِ:

(أحدهما): قولُهُ تعالَى: ﴿أوَ لوْ كانَ آباؤُهم لا يعقلونَ شيئاً ولا يهتدون﴾[4].

(الوجه الثاني): ﴿قل أوَلَوْ جئتُكم بأهْدَى مما وجدتُم عليهِ آباءَكم﴾.[5]

وهٰهنا نكتتانِ: (إحداهما) قولُه: ﴿بأهدىٰ﴾ ولا هداية لآبائِهم، وإنما ذكرَ ذلكَ توطئةً لاستماعِ حجتِهِ وتلطفاً في الدعاية إلى هدايتِهِ (النكتة الثانية): أعرضُوا عنِ الجوابِ الملْزِمِ لهمْ إلى استماعِ ما هوَ أهدَى إلى قولِهِم: ﴿إنا بما أُرْسِلْتُم به كافرونَ﴾[6].

(فصلٌ) في جواز التجوزِ وفي الكتابِ العزيزِ مِنْ ذلكَ كثيرٌ مِنْ ذلكَ قولُه تعالَى: ﴿إنَّ الذينَ يكتمونَ ما أنزلَ اللَّهُ مِنَ الكتابِ ويشترونَ به ثمناً قليلاً أولئكَ ما يأكلونَ في بطونِهِم إلا النَّارَ﴾[7] وقد علم أنَّهم في الحالةِ الحاضرةِ لا يأكلونَ النارَ والشراءَ، والصبرَ على النارِ.

---

(١) سورة المائدة: الآية ١٠٤.
(٢) سورة الزخرف: الآية ٢٢.
(٣) سورة الزخرف: الآية ٢٣.
(٤) سورة البقرة: الآية ١٧٠.
(٥) سورة الزخرف: الآية ٢٤.
(٦) سورة سبأ: الآية ٣٤.
(٧) سورة البقرة: الآية ١٧٤.

(فصلٌ) يجوزُ عطفُ الواجبِ على غيرِ الواجبِ كقَولِه تعالى: ﴿كُلوا مِنْ ثمرِهِ إذا أثمرَ وآتُوا حقَّه يومَ حصادِهِ﴾(١) وكقوله: ﴿كُلوا من طيباتِ ما رزقْنَاكُمْ واشكرُوا للَّهِ إنْ كنتُم إياهُ تَعبُدونَ﴾(٢).

(فصلٌ) والإنكارُ بعدَ الاعترافِ لا يسمعُ دليلُهُ قولُه تعالى: ﴿ثمَّ قيلَ لهمْ أينَ ما كنتُم تُشركونَ مِنْ دونِ اللَّهِ قالوا ضَلُّوا عَنَّا بل لم نكُنْ ندعُوا مِن قبلُ شيئاً كذلِكَ يُضِلُ اللَّهُ الكافرين﴾(٣) فعاقبَهم على ضلالِهم الأولِ بضلالٍ هوَ الإنكارُ بعد الاعترافُ.

(فصلٌ) ومنْ لطائفِ الأجوبةِ الجدلية لِما قالَ فرعونُ لموسى: ﴿ألم نربِّك فينَا وليداً ولبثْتَ فينا مِنْ عُمُرِك سنينَ﴾(٤) كانَ جوابُ موسَى عليهِ السلامُ: ﴿وتلكَ نعمةٌ تمُنُّها عليَّ أن عَبَّدتَ بني إسرائيل﴾(٥) فالذي اعتده فرعونُ نعمةً جعلَها موسى نقمةً هوَ جوابٌ على معنى الكلام لا على لفظِهِ.

(فصلٌ) ومنْ أنواعِ التجوزِ قولـه تعالَى: ﴿وعليها وعلى الفلكِ تُحملونَ﴾(٦) والأنعامُ ثلاثةُ أنواعٍ: إبلٌ وبقرٌ وغنمٌ. والمركوبُ منها الإبلُ خاصةً.

(فصلٌ) في المباكتة بالتشنيع منها قولُه تعالى: ﴿[قل] يا أهلَ الكتابِ هل تنقمونَ مِنّا إلا أنْ آمنَّا باللَّهِ وما أنزلَ إلينا وما أُنزِلَ مِنْ قبلُ وأن أكثرَكم فاسقونَ قُلْ هل أنبئُكم بشرٍ مِنْ ذلكَ مثوبةً عندَ اللَّهِ مَنْ لعنَهُ اللَّهُ وغضبَ

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٤١.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٧٢.
(٣) سورة غافر: الآيتان ٧٣ - ٧٤.
(٤) سورة الشعراء: الآية ١٨.
(٥) سورة الشعراء: الآية ٢٢.
(٦) سورة المؤمنون: الآية ٢٢.

عليهِ وجعلَ منهم القردةَ والخنازيرَ وعبدَ الطاغوتَ أولئكَ شرٌّ مكاناً وأضلُّ عنْ سواءِ السبيلِ﴾[1] فإذا وقَع التشنيعُ على مذهبٍ بسببِ حكمٍ خالفَ فيهِ الفقهاء، أوْ قولٍ فيهِ نفرةٌ مثلُ المخلوقةِ مِنْ ماءِ الزِّنا وجوازُ الخضخضةِ[2] على مذهبِ الإمام أحمدَ، أو ما كان للخصمِ أنْ يشنعَ على مذهبِهِ بما هوَ مِنْ هذا القبيلِ وقد صحَّ أن النبيَّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّم قال لليهودِ: «يا إخوان القردةِ»[3].

(فصلٌ) ومما يجري مَجْرَىٰ المقابلةِ في الأذَى والجناسِ في الجزاءِ: ﴿وقالتِ اليهود يدُ اللَّهِ مغلولةٌ غُلَّت أيديْهم ولُعِنُوا بما قالُوا﴾[4] واللعن هُوَ الطردُ والبعدُ. ولما كانتْ يدُ اللَّهِ مبسوطةً بالقدرةِ على الإيجادِ والإعدامِ والإشقاءِ والإسعادِ كان القولُ بغلول يدِهِ سبحانَه أبعدَ المحالاتِ في نظر العقل فاستحقُّوا الإبعادَ.

---

(١) سورة المائدة: الآيتان ٥٩، ٦٠.

(٢) وهي الاستمناء. وانظر «الاستقصاء لأدلة تحريم الاستمناء» للشيخ عبدالله بن محمد بن الصديق الحسني. ط: عالم الكتب.

(٣) كلام المؤلف فيه نظر.

فالمعروف أن هذا الكلام من قول عائشة رضي الله عنها، وليس من قول النبي ﷺ.

أخرج أحمد في مسنده (٦/١٣٤ ـ ١٣٥): «عن عائشة قالت: بينا أنا عند النبي ﷺ إذا استأذن رجل من اليهود فأذن له فقال: السام عليك، فقال النبي ﷺ: وعليك. قالت: فهممت أن أتكلم قالت: ثم دخل الثانية فقال مثل ذلك، فقال النبي ﷺ: وعليك، قالت: ثم دخل الثالثة فقال: السام عليك، قالت: فقلت: بل السام عليكم وغضب الله **إخوان القردة والخنازير** أتحيون رسول الله ﷺ بما لم يحيه به الله، قالت: فنظر إليَّ فقال: مه، إن الله لا يحب الفحش ولا التفحش قالوا قولاً فرددناه عليهم فلم يضرنا شيئاً ولزمهم إلى يوم القيامة...».

(٤) سورة المائدة: الآية ٦٤.

(فصلٌ) **التخصيصُ بالذكر لا يدلّ على الاختصاصِ في الحكم** كقولِهِ تعالَى: ﴿لقدْ كفرَ الذينَ قالُوا إن اللَّهَ هوَ المسيحُ بنُ مريمَ﴾[1] وقالَ سبحانه بَعدها: ﴿لقدْ كفرَ الذين قالُوا إنَّ اللَّهَ ثالثُ ثلاثةٍ﴾[2].

(فصلٌ) **يتضمنُ ثلاثَ شُبَهٍ والجوابُ عنْها:**

(**الشبهة الأولى**)[3]: أنه تارةً تحدَّى بجملةِ القرآنِ وتارةً بعشرِ سورٍ، وتارةً بسورةٍ، والجوابُ أنهُ ذكرَ الآحادَ والعقودَ ونفاها ليعلمَ العجزَ عَنْ كلِّه وبعضِه. فإنْ قيلَ القديمُ لا يوصفُ بكلٍّ ولا بعضٍ قيلَ هذَا كقولِنا عالمٌ مريدٌ قادرٌ هذهِ بعضُ صفاتِ القديمِ ولا نريدُ بَعْضِيَّةِ التجزي وكما تقولُ: القرآنُ مائةٌ وأربعَ عشْرةَ سورةً والسورةُ كذا وكذا آيةً.

(**الشبهة الثانية**): ما الحكمةُ أنَّ هذَا الكتابَ العزيزَ لم ينزلْ جملةً واحدةً وسائرُ الكتبِ نزِلتْ جملةً جملةً[4] قالَ تعالَى: ﴿وقالَ الذينَ كفروا لولا نزلَ عليهِ القرآنُ جملةً واحدةً كذلكَ لِنُثَبِّتَ بهِ فؤادَكَ ورتلناهُ ترتيلاً. ولا يأتونَكَ بمثلٍ إلا جئناكَ بالحقِّ وأحسنَ تفسيراً﴾[5].

الجوابُ الثاني قالَ أهلُ المعاني: القومُ كانُوا قبلَنا عمالاً فكتبتْ كتبُ عهودِهم وسلمتْ إليهم جملةً، وهذهِ الأمةُ أحبابٌ ورسائلُ الأحباب لا تنقطعُ[6].

---

(١) سورة المائدة: الآية ١٧.
(٢) سورة المائدة: الآية ٧٣.
(٣) في المطبوع: الأول. والأصح «الأولى» أي الشبهة.
(٤) لعلها [واحدة] من أجل تمام المعنى.
(٥) سورة الفرقان: الآيتان ٣٢ - ٣٣.
(٦) قلت: جواب المؤلف رحمه الله بعيد عن الحكمة في نزول القرآن الكريم منجماً. وإليك الحكمة من نزول القرآن منجماً: =

(الشبهة الثالثة): شبهةُ القدرية، قالُوا: كيفَ الجمعُ بينَ إرادةِ خلق الفعلِ والعقابِ عليه؟ والجوابُ ثبتَ بالإجماعِ أنهُ حكيمٌ عادلٌ، والحكيمُ العادلُ غيرُ متَّهم كيفَ وقدْ ذكرَ الظلمَ في الكتابِ العزيزِ في مائتي موضعٍ وثمانينَ موضعاً[1]. وذمَّهُ وذمَّ الظالمينَ، ونَفَى الظلمَ عنْ نفسهِ في ثمانيةٍ وعشرينَ موضعاً مِنْها، ويستحيلُ أنْ يحرمَ شيئاً على نفسِهِ ويقبحه من غيره ثم يفعلُهُ وهوَ أعدلُ العادلينَ وأجلُّ المنعمينَ، والخوضُ في هذا مَنْهِيٌّ عنهُ، لأنهُ بحرٌ مغرِقٌ ولكشفِهِ ميعادُ يوم تُبْلَى السرائرُ.

(فصل) والدليلُ على أنَّ توبةَ الزنديق[2] لا تقبلُ قولَه عزَّ وجل: ﴿إنَّ

= ١ ـ تثبيت فؤاد النبي ﷺ وتقوية قلبه.

٢ ـ تيسير حفظه وفهمه ومعرفة أحكامه وحِكَمِهِ.

٣ ـ التدرج في التشريع.

٤ ـ مسايرة الحوادث والطوارىء في تجددها وتفرقها.

٥ ـ التحدي والإعجاز.

[«مدخل إرشاد الأمة إلى فقه الكتاب والسنة» الفائدة الأولى رقم (٤)].

(١) انظر «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم» باب الظاء (ص ٤٣٤ ـ ٤٣٨).

(٢) قلت: ورد في كتاب «جامع العلوم في اصطلاحات الفنون» (١٥٧/٢) ما يلي:

«الزندقة أن لا يؤمن بالآخرة ووحدانية الخالق... وعن ثعلب أن الزنديق معناه الملحد والدهري، وعن ابن دريد: أنه فارسي معرب، وأصله: (زندة) وهو من يقول بدوام الدهر. وفي شرح المقاصد: وإن كان باعترافه بنبوة النبي ﷺ وإظهاره شعائر الإسلام يبطن العقائد التي هي كفر بالاتفاق، خص باسم الزنديق وهو في الأصل منسوب إلى (زند) اسم كتاب أظهره مزدك في أيام «قباذ» وزعم أنه تأويل كتاب المجوس الذي جاء به زرادشت يزعمون أنه نبيهم».

ولمزيد من التفصيل انظر كتاب «من تاريخ الإلحاد في الإسلام» عبدالرحمن بدوي (ص ٣٥).

الـذينَ كَفَرُوا بعـدَ إيمانِهِمْ ثمَّ ازدادُوا كفـراً لنْ تُقْبَلَ تـوبتُهم وأولئكَ همُ الضالُّونَ﴾[1] والمعنَى فيهِ: أنَّ قليلَ الكفرِ وكثيرَهُ سواءٌ في استحقاقِ القتلِ واستيجابِ النارِ، والتوبةُ مقبولةٌ في قليلهِ وكثيرِهِ، فلا معَنَى لزيادة الكفرِ إلا إبطانَ الكفرِ وإظهارَ الإيمانِ[2]. واللَّهُ تعالى أعلمُ بكتابِهِ وأسرارِ خطابِهِ.

[تمت الرسالة ولله الحمد والمنة]

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٩٠.

(٢) لعل المؤلف رحمه الله يعني بعدم قبول توبة الزنديق إذا مات على ذلك، فأما إذا تاب إلى الله وأخلص في توبته قبل موته فظواهر نصوص الكتاب والسنة تدل على قبول توبته. والآية التي تلي هذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿إن الذينَ كفروا وماتوا وهم كفارٌ فلن يقبلَ من أحدهم ملءُ الأرضِ ذهباً ولو افتدى به أولئك لهم عذابٌ أليمٌ وما لهم من ناصرين﴾ [آل عمران: ٩١]. في حكم البيان لها.

انظر أقوال المفسرين في ذلك كفتح القدير للشوكاني (١/٣٥٩).

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة الدكتور عبدالحق عبدالدائم القاضي	٥
مقدمة المحقق	٧
ترجمة المؤلف	١٢
منهجي في تحقيق الرسالة وتخريجها	١٥
مقدمة المؤلف	١٧
الباب الأول: في ذكر الجدل والحُجَّة	١٩
الباب الثاني: في أول من سنّ الجدَال	٣١
الباب الثالث: في جدال الأنبياء عليهم السلام للأمم	٣٦
الباب الرابع: في ذكر الأدلة على وجود الصانع سبحانه	٤٤
الباب الخامس: في ذكر الأدلة على أنه واحد سبحانه	٤٨
الباب السادس: في ذكر أدلة البعث في الكتاب العزيز	٥٠
فصل: ولم يكن لمنكر شبهة إلا مجرد تعجب واستبعاد	٥٤
الباب السابع: في ذكر أدلة نبوة محمد ﷺ من الكتاب العزيز	٥٧
فصل: قد توجه القرآن العظيم على مائة دليل وأربعة عشر دليلاً عدد سوره	٦٠
فصل: ومن فهم مذهب الفصاحة والبلاغة	٦٨
الباب الثامن: في ذكر الأسئلة والأجوبة الجدلية من الكتاب العزيز	٦٩
فصل: الحكم تارة يعلل بعلة واحدة منفردة	٧١

الموضوع	الصفحة

فصل: تعليق الحكم على علة يقتضي النقيض ٧٢
فصل: أجوبة الأسئلة على التفصيل ٧٣
فصل: وقد تذكر صورة القياس وليس بقياس دلالة ٧٣
فصل: ومثال قياس الشبه ٧٤
فصل: في الترجيح وهو دليل معتبر في الشرع ٧٤
فصل: في المفهوم وهو ينقسم قسمين: مفهوم الموافقة ومفهوم المخالفة ٧٥
فصل: وقد سمى الله سبحانه الشُبَه التي أوردها الكفار أمثالاً ٧٦
فصل: في ذم التقليد والمقلدين ٧٧
فصل: في جواز التجوز ٧٨
فصل: يجوز عطف الواجب على غير الواجب ٧٩
فصل: والإنكار بعد الاعتراف لا يسمع دليله ٧٩
فصل: ومن لطائف الأجوبة الجدلية ٧٩
فصل: ومن أنواع التجوز ٧٩
فصل: في المباكتة والتشنيع ٧٩
فصل: ومما يجري مجرى المقابلة في الأذى والجناس في الجزاء ٨٠
فصل: التخصيص بالذكر لا يدل على الاختصاص في الحكم ٨١
فصل: يتضمن ثلاث شبه والجواب عنها ٨١
فصل: والدليل على أن توبة الزنديق لا تقبل ٨٢
فهرس الموضوعات ٨٥